

سورة المدثر

مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ. وَهِيَ سِتُّ وَخَمْسُونَ آيَةً^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدْتَرُّ ۝١ قُرْ فَأَنْذِرْ ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَيُنَادِكَ فَطَفِّرْ ۝٤﴾

فيه ستُّ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدْتَرُّ﴾ أي: ياذا الذي قد تَدَثَّرَ بشيابه، أي: تَغَشَّى بها ونام، وأصله: المتدثر، فأدغمت التاء في الدال لتجانسهما^(٢). وقرأ أبي: «الْمُدْتَرُّ» على الأصل^(٣).

ونزل^(٤) معظم هذه السورة في الوليد بن المغيرة. وفي صحيح مسلم^(٥) عن جابر ابن عبد الله - وكان من أصحاب رسول الله ﷺ - كان يُحَدِّثُ - قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي؛ قال في حديثه: «فبيننا^(٦) أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعتُ رأسي، فإذا الملكُ الذي جاءني بحراءٍ جالساً على كرسي بين السماء والأرض». قال رسول الله ﷺ: «فَجُئِثْتُ^(٧) منه فَرَقاً، فرجعتُ فقلت: زملوني زملوني، فدثروني، فأَنْزَلَ اللهُ تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدْتَرُّ . قُرْ فَأَنْذِرْ . وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ . وَيُنَادِكَ فَطَفِّرْ

(١) المحرر الوجيز ٣٩٢/٥، وتفسير البغوي ٤/٤١٢، وزاد المسير ٨/٣٩٨.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٥/٦٥، وتفسير الرازي ٣٠/١٨٩.

(٣) المحرر الوجيز ٥/٣٩٢، وزاد المسير ٨/٣٩٩.

(٤) في (د) و(ز) و(ظ): وقال، وفي (م): وقال مقاتل، والمثبت من (خ)

(٥) برقم (١٦١): (٢٥٥)، وهو عند البخاري (٤)، (٤٩٥٤).

(٦) في (م): فيينما.

(٧) أي: ذعرت وخفت. النهاية (جأث).

. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿١﴾ - في رواية: قبل أن تُفرض الصلاة^(١) - وهي الأوثان. قال: «ثم تتابع الوحي». أخرجه الترمذي أيضاً وقال: حديث حسن صحيح^(٢).

قال مسلم: وحدثنا زهير بن حرب قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا الأوزاعي قال: سمعتُ يحيى يقول: سألتُ أبا سلمة: أيُّ القرآن أنزل قبل؟ قال: «يا أيُّهَا الْمُدَّثِّرُ». فقلتُ: أو «اقرأ». فقال: سألتُ جابر بن عبد الله: أيُّ القرآن أنزل قبل؟ قال: «يا أيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» فقلتُ: أو «اقرأ»؟ فقال جابر: أحدثكم ما حدثنا رسولُ الله ﷺ، قال: «جاورتُ بحراءَ شهراً، فلما قضيتُ جوارِي نزلتُ، فاستبطنتُ بطن الوادي، فنوديتُ، فنظرتُ أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فلم أرَ أحداً، ثم نوديتُ، فنظرتُ، فلم أرَ أحداً، ثم نوديتُ، فرفعتُ رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء - يعني جبريل ﷺ - فأخذتني رجفة شديدة، فأتيتُ خديجةً فقلتُ: دثروني، فدثروني، فصَبُّوا عليَّ ماءً، فأنزلَ اللهُ عزَّوجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ . وَتِبَابَكَ فَطَّرْ﴾^(٣) خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ، وقال فيه: «فأتيتُ خديجةً فقلتُ: دثروني، وصَبُّوا عليَّ ماءً بارداً، فدثروني وصَبُّوا عليَّ ماءً بارداً، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ . وَتِبَابَكَ فَطَّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ . وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَنْكَرُ﴾^(٤).

ابن العربي: وقد قال بعض المفسرين: إنَّه جرى على النبي ﷺ من عُقْبَةِ [بن ربيعة] أمرٌ، فرجع إلى منزله مغموماً، ففَلِقَ واضطجع، فنزلت: «يا أيُّهَا الْمُدَّثِّرُ». وهذا باطل^(٥).

(١) هي في صحيح مسلم (١٦١): (٢٥٦)، وصحيح البخاري (٤٩٢٥)، ومسند أحمد (١٥٠٣٥).

(٢) سنن الترمذي (٣٣٢٥).

(٣) صحيح مسلم (١٦١): (٢٥٧).

(٤) صحيح البخاري (٤٩٢٢)، وهو عند أحمد (١٤٢٨٧).

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٨٧٣. وما سلف بين حاصرتين منه.

وقال القشيري أبو نصر: وقيل: بلغه قول كفار مكة: أنت ساحر. فوجد من ذلك غمًا وحَمًّا، فتدثر بثيابه، فقال الله تعالى: ﴿فَأَنْذِرْ﴾ أي: لاتفكر في قولهم، وبلغهم الرسالة.

وقيل: اجتمع أبو لهب، وأبو سفيان، والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، وأمّية بن خلف، والعاص بن وائل، ومطعم بن عدي، وقالوا: قد اجتمعت وفود العرب في أيام الحج، وهم يتساءلون عن أمر محمد، وقد اختلفتم في الإخبار عنه، فمن قائل يقول: مجنون، وآخر يقول: كاهن، وآخر يقول: شاعر^(١)، وتعلم العرب أن هذا كله لا يجتمع في رجل واحد، فسُموا محمدًا باسم واحد تجتمعون^(٢) عليه، وتسميه العرب به، فقام منهم رجل فقال: شاعر، فقال الوليد: سمعت كلام ابن الأبرص، وأمّية بن أبي الصلت، وما يشبهه كلام محمد كلام واحد منهما، فقالوا: كاهن. فقال: الكاهن يصدق ويكذب، وما كذب محمد قط. فقام آخر فقال: مجنون، فقال الوليد: الجنون^(٣) يخفق الناس، وما خفق محمد قط. وانصرف الوليد إلى بيته، فقالوا: صبا الوليد بن المغيرة، فدخل عليه أبو جهل وقال: مالك يا أبا عبد شمس! هذه قريش تجمع لك شيئاً يعطونك، زعموا أنك قد احتجت وصبأت. فقال الوليد: مالي إلى ذلك حاجة، ولكني فكرت في محمد، فقلت: ما يكون من الساحر؟ فقيل: يفرق بين الأب وابنه، وبين الأخ وأخيه، وبين المرأة وزوجها، فقلت: إنه ساحر. فشاع هذا في الناس وصاحوا يقولون: إنَّ محمدًا ساحرٌ. ورجع رسول الله ﷺ إلى بيته محزوناً، فتدثر بقطيفة، ونزلت: «يا أيُّها المدثر»^(٤).

وقال عكرمة: معنى «يا أيُّها المدثر» أي: المدثر بالنبوة وأثقالها^(٥). ابن

(١) بعدها في (ظ): وآخر يقول ساحر.

(٢) في النسخ عدا (خ): يجتمعون.

(٣) في (م): المجنون.

(٤) ذكر هذه الرواية بنحوها الرازي في تفسيره ٣٠/١٩١.

(٥) النكت والعيون ٦/١٣٥، وأخرجه بنحوه الطبري ٢٣/٤٠٤.

العربي^(١): وهذا مجازٌ بعيد؛ لأنه لم يكن تنبأً بعد، على^(٢) أنها أول القرآن، [و] لم يكن تمكّن منها بعد إن كانت ثاني منازل.

الثانية: قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ﴾: ملاطفةٌ في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذ ناداه بحاله، وعبر عنه بصفته، ولم يقل: يا محمد ويا فلان، ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدّم في سورة المزمل^(٣). ومثله قول النبي ﷺ لعليّ إذ نام في المسجد: - «قم أبا تراب» - وكان خرج مغاضباً لفاطمة رضي الله عنها، فسقط رداؤه، وأصابه ترابه؛ خرّجه مسلم^(٤). ومثله قوله عليه الصلاة والسلام لحذيفة ليلة الخندق: - «قم يا نومان» - وقد تقدّم^(٥).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿مُرْ فَأَنْذِرْ﴾ أي: خوّف أهل مكة، وحذّرهم العذاب إن لم يُسلموا. وقيل: الإنذارُ هنا إعلامهم بنبوّته؛ لأنه مقدّمُ الرسالة. وقيل: هو دعاءُهم إلى التوحيد؛ لأنه المقصود بها^(٦).

وقال الفراء^(٧): قم فصلّ، وأمر بالصلاة.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: سيّدك ومالكك ومصلح أمرِك فعظّم، وصِفُه بأنّه أكبرُ من أن يكون له صاحبةٌ أو ولد.

وفي حديث أنهم قالوا: بِمِ تَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ؟ فنزلت: «وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ»^(٨). أي: صِفُه بأنّه أكبر.

(١) في أحكام القرآن ٤/١٨٧٣.

(٢) في النسخ: وعلى. والمثبت من أحكام القرآن، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٣) ص ٣١٦ من هذا الجزء.

(٤) برقم (٢٤٠٩)، وأخرجه أيضاً البخاري (٤٤١). وسلف ص ٣١٦ من هذا الجزء.

(٥) ٨٢/١٧ و ص ٣١٦ من هذا الجزء. والكلام بنحوه في أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٨٧٣.

(٦) النكت والعيون ٦/١٣٥.

(٧) في معاني القرآن له ٣/٢٠٠.

(٨) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٣٩٢، والسيوطي في الدر المنثور ٦/٢٨١ عن أبي هريرة ؓ، ونسبه لابن مردويه، ولم نقف على إسناده.

قال ابن العربي: وهذا القول وإن كان يقتضي بعمومه تكبير الصلاة، فإنه مراد فيه تكبير التقديس^(١) والتزويه؛ بخلع^(٢) الأنداد والأصنام دونه، ولا تتخذ ولياً غيره، ولا تعبد سواه، ولا ترى لغيره فعلاً إلا له، ولا نعمة إلا منه.

وقد روي أن أبا سفيان قال يوم أحد: أغلُّ هُبَل؛ فقال النبي ﷺ: «قولوا: الله أعلى وأجل»^(٣). وقد صار هذا اللفظ بعرف الشرع في تكبير العبادات كلها أذاناً وصلاةً وذكرًا بقوله: «الله أكبر»، وحُمِل عليه لفظ النبي ﷺ الوارد على الإطلاق في موارد^(٤)، منها قوله: «تحريمها التكبير، وتحليلها التسليم»^(٥)، والشرع يقتضي بعرفه ما يقتضي بعمومه، ومن موارد أوقات الإهلال بالذبائح لله تخلصاً له من الشرك، وإعلاناً^(٦) باسمه في النُسك، وإفراداً لِمَا شرع^(٧) لأمره بالسَّفك^(٨).

قلت: قد تقدّم في أول سورة البقرة^(٩) أن هذا اللفظ: «الله أكبر» - هو المتعبّد به في الصلاة، المنقول عن النبي ﷺ.

وفي التفسير: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ قام رسول الله ﷺ وقال: «الله أكبر»، فكبرت خديجة، وعلمت أنه الوحي من الله تعالى؛ ذكره القشيري^(١٠).

(١) في (م)، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/١٨٧٤: التكبير والتقديس، والمثبت من النسخ الخطية وهو موافق لنسخة من أحكام القرآن كما ذكر في حواشيه.

(٢) في النسخ عدا (ظ): لخلع، والمثبت موافق لأحكام القرآن.

(٣) قطعة من حديث البراء بن عازب ؓ؛ أخرجه أحمد (١٨٥٩٣) والبخاري (٤٠٤٣)، وسلف ٥/٣٥٨ - ٣٥٩.

(٤) في (م): موارد.

(٥) أخرجه أحمد (١٠٠٦)، وأبو داود (٦١)، والترمذي (٣)، وابن ماجه (٢٧٥) عن علي بن أبي طالب ؓ، وسلف ١/٢٦٩.

(٦) في (د): وإعلاماً.

(٧) بعدها في (م) و(ي): منه.

(٨) أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٨٧٤.

(٩) ١/٢٦٩.

(١٠) وذكره الزمخشري في الكشاف ٤/١٨٠، والرازي في تفسيره ٣٠/١٩١.

الخامسة: الفاء في قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ فَكَّرْ﴾ دخلت على معنى جواب الجزاء، كما دخلت في «فَأَنْذِرْ» أي: قم فانذر، وقم فكبر ربك؛ قاله الزجاج^(١). وقال ابن جني: هو كقولك زيدا فاضرب، أي: زيدا اضرب، فالفاء زائدة^(٢).

السادسة: قوله تعالى: ﴿وَيَايَكَ فَطَرْتُ﴾ فيه ثمانية أقاويل:

أحدها: أن المراد بالثياب العمل. الثاني: القلب. الثالث: النفس. الرابع: الجسم. الخامس: الأهل. السادس: الخلق. السابع: الدين. الثامن: الثياب الملبوسات على الظاهر.

فمن ذهب إلى القول الأول قال: تأويل الآية: وعملك فأصلح؛ قاله مجاهد وابن زيد^(٣).

وروى منصور عن أبي رزين قال: يقول: وعملك فأصلح؛ قال: وإذا كان الرجل خبيث العمل؛ قالوا: إن فلانا خبيث الثياب، وإذا كان حسن العمل؛ قالوا: إن فلانا طاهر الثياب^(٤)؛ ونحوه عن السدي^(٥).
ومنه قول الشاعر:

لَا هُمْ إِلَّا عَامِرَ بَنِ جَهْمٍ أَوْ ذَمَّ حَجًّا فِي ثِيَابِ دُسْمٍ^(٦)

ومنه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يُحْشَرُ الْمَرْءُ فِي ثَوْبِهِ اللَّذِينَ مَاتَ فِيهِمَا»^(٧).

(١) في معاني القرآن ٢٤٥/٥.

(٢) ينظر سر صناعة الإعراب لابن جني ٢٦٠/١.

(٣) أخرج قول مجاهد الطبري ٦٣/٢٣.

(٤) تفسير الطبري ٤٠٩/٢٣.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ٤١٣/٤، والبغوي في تفسيره ٣٨٠/٤.

(٦) ذكره ابن قتبية في كتاب المعاني الكبير ٤٨١/١ وابن منظور في اللسان (دسم) دون نسبة، وقال: يعني أنه حج، وهو متدنس بالذنوب، وأوذم الحج: أوجه، وتدسيم الشيء: جعل الدسم عليه، وثياب دُسم: وسخة.

(٧) في (م): عليهما.

يعني عمله الصالح والطالح؛ ذكره الماوردي^(١). ومن ذهب إلى القول الثاني قال: إنَّ تأويل الآية: وقلِّبَكَ فطَهَّرْ؛ قاله ابنُ عباس وسعيد بن جُبَيْر^(٢)؛ دليله قول امرئ القيس:

فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسُلِ^(٣)

أي قلبي من قلبك. قال الماوردي^(٤): ولهم في تأويل الآية وجهان: أحدهما: معناه: وقلِّبَكَ فطَهَّرْ مِنَ الإِثْمِ وَالْمَعَاصِي؛ قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: وقلِّبَكَ فطَهَّرْ مِنَ الْغَدْرِ، أي: لا تغدر فتكون دنس الثياب. وهذا مروى عن ابن عباس، واستشهد بقول غيلان بن سلمة الثقفي:

فإنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا ثُوبَ فَاجِرٍ لَيْسَتْ وَلَا مِنْ عَدْرَةٍ أَتَقَنُّعُ^(٥)

ومن ذهب إلى القول الثالث قال: تأويل الآية: ونفسك فطَهَّرْ، أي: من الذنوب.

والعربُ تَكْنِي عن النفس بالثياب؛ قاله ابن عباس^(٦). ومنه قول عترة:

فَشَكَّكْتُ بِالرُّمْحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمٍ^(٧)

وقال امرؤ القيس:

فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسُلِ^(٨)

وقال:

(١) في النكت والعيون ١٣٦/٦، وأخرج نحوه أبو داود (٣١١٤)، وابن حبان في صحيحه (٧٣١٦) عن أبي سعيد الخدري بلفظ: «إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها».

(٢) قول ابن عباس في النكت والعيون ١٣٦/٦، وقول سعيد بن جبیر في زاد المسیر ٤٠١/٨.

(٣) ديوان امرئ القيس ص ١٣، وسلف ٣٨٦/٣.

(٤) في النكت والعيون ١٣٦/٦.

(٥) أخرجه الطبري ٤٠٥/٢٣، والبيت نسبه صاحب الأغاني ٢٣٥-٢٣٦/١٦ لبرذع بن عددي في قصيدة له. وسلف ٤٤/١.

(٦) أخرجه الطبري ٤٠٦/٢٣ بنحوه.

(٧) ديوان عترة ص ٢٦، وفيه: الأصم. بدل: الطويل.

(٨) من قوله: وقال امرؤ القيس إلى قوله: تنسل. ساقط من (ظ). وسلف قريباً.

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ وَأَوْجُهُهُمْ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ^(١) غُرَّانُ^(٢)
 أي: أنفُس بني عوف.

ومن ذهب إلى القول الرابع قال: تأويل الآية: وجسمك فطهر؛ أي: عن المعاصي الظاهرة. ومما جاء عن العرب في الكناية عن الجسم بالثياب قول ليلى وذَكَرت إبلاً:

رموها بأثيابِ خِفافٍ فلا تَرَى لها شَبَهًا إِلَّا النَّعَامَ الْمُنْقُرَا
 أي: ركبوها فرمّوها بأنفسهم^(٣)

ومن ذهب إلى القول الخامس قال: تأويل الآية: وأهلك فطهرهم من الخطايا بالوعظ والتأديب؛ والعرب تُسمي الأهل ثوباً ولباساً وإزاراً، قال الله تعالى: ﴿هُنَّ لِيَأْسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

الماوردي^(٤): ولهم في تأويل الآية وجهان:

أحدهما: معناه: ونساءك فطهر، باختيار المؤمنات العفاف.

الثاني: الاستمتاع بهنّ في القبل دون الدبر، في الطهر لا في الحيض. حكاها^(٥) ابن بحر.

ومن ذهب إلى القول السادس قال: تأويل الآية: وخلقك فحسّن. قاله الحسن والقُرظي^(٦)؛ لأنّ خلق الإنسان مشتمل على أحواله، اشتمال ثيابه على نفسه. وقال الشاعر:

(١) في (م): بيض المسافر.

(٢) ديون امرئ القيس ص ٨٣، وسلف الشطر الأول منه ٣٤٢/١٥.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ١٠٧، ولفظ البيت فيه: رموها بأثواب. بدل: رموها بأثياب.

(٤) في النكت والعيون ١٣٧/٦.

(٥) في النكت والعيون: حكاها.

(٦) تفسير البغوي ٤/٤١٣.

وَيَخْيَى لَا يُلَامُ بِسُوءِ خُلُقٍ
وَيَخْيَى طَاهِرُ الْأَثْوَابِ حُرٌّ
أي: حسن الأخلاق.

ومن ذهب إلى القول السابع قال: تأويل الآية: ودينك فطهر.

وفي الصحيحين عنه عليه الصلاة والسلام قال: «ورأيت الناس وعليهم ثياب،
منها ما يبلغ الثديي، ومنها ما دون ذلك، ورأيت عمر بن الخطاب وعليه إزار يجره».
قالوا: يا رسول الله، فما أولت ذلك؟ قال: «الدين»^(١).

وروى ابن وهب عن مالك أنه قال: ما يعجبني أن أقرأ القرآن إلا في الصلاة
والمساجد لا في الطريق، قال الله تعالى: ﴿وَيَابِكَ فَطَفَّرَ﴾، يريد مالك أنه كنى عن
الدين بالثياب^(٢). وقد روى عبد الله بن نافع عن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الله بن
عمر بن الخطاب، عن مالك بن أنس في قوله تعالى: ﴿وَيَابِكَ فَطَفَّرَ﴾ أي: لا تلبسها
على غدره، ومنه قول أبي كبشة^(٣):

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ ظَهَارَى نَقِيَّةٌ وَأَوْجُهُهُمْ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ^(٤) غُرَانُ

يعني بطهارة ثيابهم: سلامتهم من الدناءات، ويعني بغرة وجوههم: تنزيههم عن
المحرمات، أو جمالهم في الخلق، أو كليهما؛ قاله ابن العربي^(٥).

وقال سفيان بن عيينة: لا تلبس ثيابك على كذب ولا جور، ولا غدر، ولا
إثم^(٦)، وقاله عكرمة^(٧). ومنه قول الشاعر:

(١) صحيح البخاري (٢٣)، وصحيح مسلم (٢٣٩٠)، ومسند أحمد (١١٨١٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) في النسخ: عن الثياب بالدين، والمثبت من أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧٥. والكلام منه.

(٣) سلف البيت منسوباً لامرئ القيس قريباً. ونسبه المصنف هنا لأبي كبشة تبعاً لابن العربي في أحكام
القرآن ٤/ ١٨٧٥.

(٤) في (م) بيضُ المسافر، وفي أحكام القرآن: عند المشاعر. والمثبت من النسخ الخطية.

(٥) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٧٥.

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩٥.

(٧) أخرجه بنحوه الطبري ٢٣/ ٤٠٥-٤٠٦.

أَوْدَمَ حَجًّا فِي ثِيَابٍ دُسِمِ^(١)

أي: قد دنسها بالمعاصي.

وقال النابغة:

رِقَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجْرَاتُهُمْ يُحْيِيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ^(٢)

ومن ذهب إلى القول الثامن قال: إنَّ المرادَ بها الثيابَ الملبوسات، فلهم في

تأويله أربعة أوجه:

أحدهما: معناه: وثيابك فأتقي؛ ومنه قول امرئ القيس:

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ^(٣)

الثاني: وثيابك فشمّر وقصّر، فإنَّ تقصيرَ الثيابِ أبعَدُ من النجاسة، فإذا انجرت

على الأرض لم يؤمن أن يصيبها ما يُنجسها؛ قاله الرَّجَّاجُ وطاوس^(٤).

الثالث: «وِثْيَابَكَ فَطَهَّرْ» من النجاسة بالماء؛ قاله محمد بن سيرين وابن زيد

والفقهاء.

الرابع: لا تلبس ثيابك إلا من كسب حلال لتكون مطهرة من الحرام^(٥). وعن ابن

عباس: لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طاهر.

ابن العربي^(٦) - وذكر بعض ما ذكرناه -: ليس بممتنع أن تُحمَل الآيَةُ على عموم

(١) سلف ص ٣٥٩ من هذا الجزء .

(٢) ديوان النابغة ص ١٢ ، قال البغدادي في الخزانة ٤٩٠/٩ : أراد أنهم ملوك لا يخصفون نعالمهم، إنما

يخصفها من يمشي، والحُجْرَة: الوسط. أراد أنهم يشدون أزرهم على عفة، والسباسب: يوم الشعانين.

اهـ. وقال ابن الأثير في النهاية (نعل): العرب تمدح بركة النعال، وتجعلها من لباس الملوك .

(٣) ديوان امرئ القيس ص ٨٣ ، وسلف قريباً.

(٤) معاني القرآن للرجاج ٢٤٥/٥ ، وقول طاوس في النكت والعيون ١٣٧/٦ .

(٥) النكت والعيون ١٣٧/٦ .

(٦) في أحكام القرآن ١٨٧٥/٤ .

المراد فيها بالحقيقة والمجاز، وإذا حملناها على الشيايب المعلومة الظاهرة^(١)؛ فهي تتناول معنيين:

أحدهما: تقصير الأذيال؛ فإنها^(٢) إذا أرسلت تدنست، ولهذا قال عمر بن الخطاب ﷺ لغلام من الأنصار - وقد رأى ذيله مُسترخياً -: ارفع إزارك، فإنه أتقى وأنقى وأبقى^(٣).

وقد قال النبي ﷺ: «إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ، لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ، وَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ فِي النَّارِ»^(٤). فقد جعل النبي ﷺ الغاية في لباس الإزار الكعب، وتوعد ما تحته بالنار، فما بال رجال يرسلون أذيالهم، ويطيلون ثيابهم، ثم يتكلفون رفعها بأيديهم، وهذه حالة الكبر، وقائدة العجب، [وأشد ما في الأمر أنهم يعصون ويحتجون، ويُلحِقون أنفسهم] بمن لم يجعل الله معه غيره، ولا ألحق به سواه. قال النبي ﷺ: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءً»^(٥)، ولفظ الصحيح: «من جرَّ إزاره خِيَلَاءً، لم ينظر الله إليه يوم القيامة». قال أبو بكر: يا رسول الله! إن أحد شِقِّي إزاري يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه؟ قال رسول الله ﷺ: «لست ممن يصنعه خِيَلَاءً»^(٦). فعَمَّ رسول الله ﷺ بالنهي. واستثنى الصديق، فأراد الأذنياء إلحاق أنفسهم بالرفعاء^(٧)، وليس ذلك لهم.

والمعنى الثاني: غسلها من النجاسة، وهو ظاهرٌ منها، صحيحٌ فيها^(٨).

(١) في (د) و(م) و(ي): الطاهرة.

(٢) في (د) و(م): لأنها.

(٣) أخرجه بنحوه ابن أبي شيبة في المصنف ٨/٣٨٧-٣٨٨.

(٤) أخرجه أحمد (١١٠١٠)، (١١٠٢٨)، وأبو داود (٤٠٩٣)، والنسائي في الكبرى (٩٦٣٢)، وابن ماجه (٣٥٧٣) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري (٥٧٨٣)، ومسلم (٢٠٨٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه البخاري (٣٦٦٥)، وهو عند أحمد (٥٣٥١) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٧) في أحكام القرآن لابن العربي: بالأقصاء.

(٨) أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٨٧٥-١٨٧٦، وما سلف بين حاصرتين منه.

المهدوي: وبه استدلل بعض العلماء على وجوب طهارة الثوب. قال ابن سيرين وابن زيد: لا تصل إلا في ثوبٍ طاهر^(١). واحتج بها الشافعي على وجوب طهارة الثوب. وليست عند مالك وأهل المدينة بفرض، وكذلك طهارة البدن، ويدل على ذلك الإجماع على جواز الصلاة بالاستجمار من غير غسل. وقد مضى هذا القول في سورة براءة مستوفى^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ قال مجاهد وعكرمة: يعني الأوثان؛ دليله قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠]. وقاله ابن عباس وابن زيد. وعن ابن عباس أيضاً: والمائم فاهجر، أي: فاترك. وكذا روى مغيرة عن إبراهيم النخعي قال: الرُّجْز: الإثم. وقال قتادة: الرُّجْز: إسافٌ ونائلة، صنمان كانا عند البيت^(٣). وقيل: الرُّجْز: العذاب، على تقدير حذف المضاف؛ المعنى: وعَمَلَ الرُّجْزِ فاهجر، أو العمل المؤدّي إلى العذاب، وأصل الرُّجْزِ العذاب، قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ١٦٢] فُسُمِّيتِ الْأَوْثَانُ رِجْزًا؛ لأنها تؤدّي إلى العذاب^(٤).

وقراءة العامة: «الرُّجْزُ» بكسر الراء. وقرأ الحسن، وعكرمة، ومجاهد، وابن محيصن، وحفص عن عاصم: «وَالرُّجْزُ» بضم الراء^(٥).

(١) أخرج قولهما بنحوه الطبري ٤٠٩/٢٣.

(٢) ٣٨٣-٣٨٢/١٠.

(٣) أخرج الأقوال السابقة الطبري ٤١١-٤١٢/٢٣، عدا قول ابن عباس الثاني فذكره البغوي في تفسيره ٤١٣/٤.

(٤) الكلام بنحوه في تأويل مشكل القرآن ص ٣٦١، والكشاف ١٨١/٤.

(٥) رواية حفص عن عاصم في السبعة ص ٦٥٩، والتيسير ص ٢١٦، وهي عن الحسن ومجاهد وابن محيصن في المحرر الوجيز ٣١٩/٥، وزاد المسير ٤٠١/٨.

وهما لغتان مثل الذكر والذكر. وقال أبو العالية والربيع والكسائي: الرُّجْز بالضم: الصنم، وبالكسر: النجاسة والمعصية^(١). وقال الكسائي أيضاً: بالضم: الوثن، وبالكسر: العذاب^(٢). وقال السدي: الرُّجْز بنصب الراء: الوعيد^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ﴾ فيه أحد عشر تأويلاً^(٤)؛
الأول: لا تمنن على ربك بما تتحمّله من أنقال النبوة، كالذي يستكبر ما يتحمّله بسبب الغير.

الثاني: لا تعط عطيةً تلتمسُ بها أفضلَ منها؛ قاله ابنُ عباس وعكرمة وقتادة. قال الضحّاك: هذا حرّمه الله على رسول الله ﷺ؛ لأنّه مأمورٌ بأشرف الآداب، وأجلّ الأخلاق، وأباحه لأُمَّته؛ وقاله مجاهد^(٥).

الثالث؛ عن مجاهد أيضاً: لا تضعف أن تستكثر من الخير؛ من قولك: حبلٌ منين إذا كان ضعيفاً؛ ودليله قراءة ابن مسعود: «وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ مِنَ الْخَيْرِ»^(٦).

الرابع: عن مجاهد أيضاً والربيع: لا يعظم^(٧) عملك في عينك أن تستكثر من الخير، فإنّه ممّا أنعم الله عليك^(٨). قال ابنُ كيسان: لا تستكثر عملك فتراه من

(١) تفسير البغوي ٤/٤١٣ عن أبي العالية والربيع.

(٢) مجمع البيان ٢٩/١٠٦.

(٣) النكت والعيون ٦/١٣٧.

(٤) في النسخ الخطية: عشر تأويلات، والمثبت من (م).

(٥) النكت والعيون ٧/١٣٨، وتفسير البغوي ٤/٦٧، وينظر الكشاف ٤/١٨٠، وزاد المسير ٨/٤٠٢.

(٦) تفسير البغوي ٤/٤١٤، ولفظ قراءة ابن مسعود فيه: ولا تمنن أن تستكثر من الخير. وسيدكرها المصنف عنه بلفظ: ولا تمنن أن تستكثر.

(٧) في (د) و(ظ) و(م): لا تعظم.

(٨) أخرجه الطبري عن الربيع ٢٣/٤١٥-٤١٦.

نفسك، إنما عملك مِنَّةٌ من الله عليك؛ إذ جعل الله لك سبيلاً إلى عبادته.

الخامس: قال الحسن: لا تمنن على الله بعملك؛ فستكثره^(١).

السادس: لا تمنن بالنبوة والقرآن على الناس؛ فتأخذ منهم أجراً تستكثر به.

السابع: قال القُرظي: لا تعط مالك مصانعةً.

الثامن^(٢): قال زيد بن أسلم: إذا أعطيت عطية فأعطها لربك.

التاسع: لا تقل: دعوت فلم يستجب لي.

العاشر: لا تعمل طاعةً وتطلب ثوابها، ولكن اصبر حتى يكون الله هو الذي

يثيبك عليها.

الحادي عشر: لا تفعل الخير لتراخي به الناس^(٣).

الثانية: هذه الأقوال وإن كانت مرادةً فأظهرها قول ابن عباس: لا تعط لتأخذ

أكثر ممَّا أعطيت من المال؛ يقال: مننتُ فلاناً كذا، أي: أعطيته. ويقال للعطية

المِنَّة؛ فكأنه أمر بأن تكون عطاياه لله، لا لارتقاب ثواب من الخلق عليها؛ لأنه عليه

الصلاة والسلام ما كان يجمع الدنيا؛ ولهذا قال: «مالي ممَّا أفاء الله عليكم إلا

الخُمس، والخُمس مردودٌ عليكم»^(٤). وكان ما يُفضّل من نفقة عياله مصروفاً إلى

مصالح المسلمين؛ ولهذا لم يورث؛ لأنه كان لا يملك لنفسه الاذخار والاقتناء، وقد

عصمه الله تعالى عن الرغبة في شيء من الدنيا؛ ولهذا^(٥) حرمت عليه الصدقة،

وأبيحت له الهدية، فكان يقبلها، ويثيبُ عليها. وقال: «لو دعيت إلى كُرَاع^(٦)

(١) أخرجه الطبري ٤١٥/٢٣.

(٢) لفظة: الثامن. من (م).

(٣) القول الأخير في النكت والعيون ١٣٨/٦.

(٤) أخرجه أحمد (٦٧٢٩) مطولاً، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وسلف ٤٤٤/٩.

(٥) في (م): ولذلك.

(٦) في (ظ) و(ي): ذراع.

لأجبت، ولو أهدي إليّ كُرَاعٌ^(١) لقبلت»^(٢).

ابن العربي: وكانَ يَقْبَلُهَا سُنَّةً ولا يَسْتَكْثِرُهَا شِرْعَةً، وإذا كان لا يُعْطِي عَطِيَّةً يَسْتَكْثِرُ بِهَا، فالأغنياءُ أولى بالاجتناب؛ لأنَّها بابٌّ من أبواب المذلة، وذلك^(٣) قول من قال: إنَّ معناه^(٤): لا تعط^(٥) عطيَّةً تنتظرُ ثوابها، فإنَّ الانتظار تعلق بالأطماع، وذلك في حيزه بحكم الامتناع، وقد قال الله تعالى^(٦): ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقٌ رَّبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١] وذلك جائز لسائر الخلق؛ لأنَّه من متاع الدنيا، وطلب الكسب [فيها]، والتكاثر بها. وأمَّا من قال: أراد به العمل، أي: لا تمننْ بعملك على الله فتستكثره؛ فهو صحيح؛ فإنَّ ابن آدم لو أطاع الله عمره من غير فتور، لَمَا بَلَغَ لنعم الله بعضَ الشكر^(٧).

الثالثة: قوله تعالى: «وَلَا تَمُنُّنْ» قراءةُ العامة بإظهار التضعيف. وقرأ أبو السَّمَّال العدوي، وأشهب العُقيلي، والحسن: «وَلَا تَمُنَّ»؛ مدغمةً مفتوحة^(٨).

«تَسْتَكْثِرُ»: قراءةُ العامة بالرفع، وهو^(٩) في معنى الحال، تقول: جاء زيدٌ يركض، أي: راكضاً، أي: لا تعط شيئاً مقدراً أن تأخذ بدله ما هو أكثر منه^(١٠).

(١) في (م): ذراع.

(٢) أخرجه أحمد (٩٤٨٥)، و(١٠٦٥١)، والبخاري (٥١٧٨) عن أبي هريرة ؓ.

(٣) في (م): وكذلك.

(٤) في (د) و(م): معناها. والمثبت من (ز) و(ظ) و(ي) وهو الموافق لأحكام القرآن لابن العربي.

(٥) في النسخ: لا تعطي. والمثبت من أحكام القرآن.

(٦) بعدها في (م): له.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ١٨٧٧/٤. وما بين حاصرتين منه.

(٨) قراءة أبي السَّمَّال والحسن في القراءات الشاذة ص ١٦٤. وينظر المحرر الوجيز ٣٩٣/٥، والبحر

المحيط ٣٧١-٣٧٢.

(٩) بعدها في (ظ): صحيح.

(١٠) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٧٧١/٢.

وقرأ الحسن^(١) بالجزم على جواب النهي، وهو رديء؛ لأنه ليس بجواب. ويجوز أن يكون بدلاً من «تَمَنَّ» كأنه قال: لا تستكثر. وأنكره أبو حاتم وقال: لأنَّ المَنَّ ليس بالاستكثر فيبدل منه. ويحتمل أن يكون سُكِّنَ تخفيفاً كعَضُد^(٢). أو أن يعتبر حال الوقف.

وقرأ الأعمش ويحيى: «تَسْتَكْثِرُ» بالنصب^(٣)، تَوَهَّمَ لام كي، كأنه قال: ولا تمنن لتستكثر. وقيل: هو بإضمار «أن» كقوله:

أَلَا أَيُّهَذَا الرَّاجِرِي أَحْضَرَ الْوَعَى^(٤)

ويؤيده قراءة ابن مسعود: «وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَسْتَكْثِرَ»^(٥). قال الكسائي: فإذا حذف «أن» رفع، وكان المعنى واحداً.

وقد يكون المَنَّ بمعنى التعداد على المُنْعَم عليه بالنعم، فيرجع إلى القول [الثاني]^(٦)، ويعضده قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤] وقد يكون مراداً في هذه الآية. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾^(٧)

قوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ أي: ولسيدك ومالكك فاصبر على أداء فرائضه وعبادته. وقال مجاهد: على ما أوديت. وقال ابن زيد: حُمِلتُ أمراً عظيماً؛ محاربة العرب والعجم، فاصبر عليه لله^(٧). وقيل: فاصبر تحت موارد القضاء لأجل

(١) القراءات الشاذة ص ١٦٤، والمحتسب ٣٣٧/٢.

(٢) الكلام بنحوه في المحتسب ٣٣٧/٢-٣٣٨.

(٣) المحتسب ٣٣٧/٢، والكشاف ١٨١/٤، والمحور الوجيز ٣٩٣/٥.

(٤) هو لطرقة بن العبد، وهو في ديوانه ص ٢٣، وسلف ٢٢٨/٢.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٠١/٣، وتفسير الطبري ٤١٧/٢٣، والقراءات الشاذة ص ١٦٤، والمحور الوجيز ٣٩٣/٥، والكشاف ١٨١/٤.

(٦) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق، وهو موافق لما في أحكام القرآن لابن العربي ١٨٧٧/٤.

(٧) تفسير الطبري ٤١٧/٢٣.

الله تعالى^(١). وقيل: فاصبر على البلوى؛ لأنه يمتحن أوليائه وأصفياءه. وقيل: على أوامره ونواهيته. وقيل: على فراق الأهل والأوطان.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾: إذا نُفِخَ في الصور. والناقور: فاعول من النقر؛ كأنه الذي من شأنه أن يُنقَر فيه للتصويت، والنقر في كلام العرب: الصوت؛ ومنه قول امرئ القيس:

أَحْفَضُهُ بِالنَّقْرِ لَمَّا عَلَوْتُهُ وَيَرْفَعُ طَرْفًا غَيْرَ جَافٍ^(٢) غَضِيضٍ^(٣)

وهم يقولون: نَقَّرَ باسم الرجل: إذا دَعَاه مختصاً له بدعائه. قال مجاهد وغيره: هو كهيئة البوق^(٤). ويعني به: النفخة الثانية. وقيل: الأولى؛ لأنها أوَّلُ الشدَّة الهائلة العامة. وقد مضى الكلام في هذا مستوفى في «النمل» و«الأنعام»^(٥)، وفي كتاب «التذكرة»^(٦)، والحمد لله.

وعن أبي جناب^(٧) قال: أَمَّنَا زُرَّارَةُ بن أوفى، فلما بلغ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾، حَرَّ مِيتًا^(٨).

(١) تفسير البغوي ٤/٤١٤.

(٢) في (م): خاف.

(٣) ديوان امرئ القيس ص ٧٥. قال شارحه: يقول: لما نزلت إليه فركبته أبدى شدة الحركة والنشاط، فجعلت أحفضه بالنقر، أي: أسكنه، والنقر: صوت يسكن به الفرس. وقوله: ويرفع طرفاً غير جاف غضيض، أي: لا يجفو نظره عن شخص، ولا يفضه عنه.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/٤١٩.

(٥) عند تفسير الآية ٨٧ من سورة النمل، و٨/٤٣٠-٤٣٢.

(٦) ص ١٧٧-١٧٨.

(٧) في (د) و(ظ): أبي خباب، وفي (ز) و(ي): أبي حباب، وفي (م): أبي حبان، والصواب ما أثبتناه. وهو أبو جناب القصاب، واسمه عون بن ذكوان، وهو بالكعبة أعرف. قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٣/٣٠٥: وثق، وقال ابن طاهر المقدسي: قال الدارقطني: متروك.

(٨) الثقات لابن حبان ٤/٢٦٦، وحلية الأولياء ٢/٢٥٨، وتهذيب الكمال ٩/٣٤١.

﴿فَذَلِكَ يَوْمًا عَسِيرٌ﴾ أي: فذلك اليوم يومٌ شديد ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: على من كفر بالله وبأنبيائه صلى الله عليهم ﴿عَسِيرٌ يَسِيرٌ﴾ أي: غير سهل ولا هين؛ وذلك أنَّ عُقْدَهُمْ لا تَنْحَلُّ إِلَّا إِلَى عُقْدَةٍ أَشَدَّ مِنْهَا، بخلاف المؤمنين الموحدين المذنبين، فإنَّهَا تَنْحَلُّ إِلَى مَا هُوَ أَخْفَى مِنْهَا حتى يدخلوا الجنة برحمة الله تعالى.

و«يَوْمًا عَسِيرًا» نصب على تقدير: فذلك يومٌ عَسِيرٌ يومئذ. وقيل: بتقدير جر، مجازه^(١): فذلك في يومئذ. وقيل: يجوز أن يكون رفعاً، إلاَّ أنَّه بُني على الفتح لإضافته إلى غير متمكَّن^(٢).

قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَمْ مَالًا مَمْدُودًا ۗ وَبَيْنَ شُهُودًا ۚ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۚ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۗ كَلَّا إِنَّكُمْ كَأَنْتُمْ لِأَبْنَاءٌ عِينًا ۗ سَأُرْهِقُهُمْ صَعُودًا ۗ﴾

قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ «ذَرْنِي» أي: دعني؛ وهي كلمةٌ وعيدٌ وتهديد. «وَمَنْ خَلَقْتُ» أي: دعني والذي خلقته وحيداً^(٣)؛ ف«وَحِيدًا» على هذا حالٍ من ضمير المفعول المحذوف، أي: خلقته وحده، لا مالَ له ولا ولد، ثمَّ أُعْطِيَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا أُعْطِيَتْهُ.

والمفسرون على أنَّه الوليدُ بن المغيرة المخزومي، وإنَّ كان النَّاسُ خُلِقُوا مِثْلَ خَلْقِهِ، وإنما خُصَّ بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة وإيذاء الرسول عليه الصلاة والسلام^(٤)، وكان يسمَّى الوحيد في قومه.

قال ابنُ عباس: كان الوليدُ يقول: أنا الوحيدُ بن الوحيد، ليس لي في العرب

(١) في (م): وقيل: جُرَّ بتقدير حرف جر، مجازه، وفي (ي): وقيل: جر بتقدير مجازه، وفي (ظ): وقيل بتقدير في مجازه. والمثبت من (د) و(ز).

(٢) ينظر معاني القرآن للزجاج ٢٤٦/٥.

(٣) الكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٢٤٦/٥، ومشكل إعراب القرآن ٢٧١/٢.

(٤) النكت والعيون ١٣٩/٦.

نظير، ولا لأبي المغيرة نظير، وكان يسمى الوحيد؛ فقال الله تعالى: «ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ» بزعمه «وَحِيداً» لا أَنَّ الله تعالى صدَّقه بأنَّه وحيد^(١). وقال قوم: إنَّ قوله تعالى: «وَحِيداً» يرجعُ إلى الرَّبِّ تعالى على معنيين:

أحدهما: ذرني وحدي معه، فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كلِّ منتقم. والثاني: أنِّي انفردتُ بخلقه ولم يشركني فيه أحد^(٢)، فأنا أهلكه، ولا أحتاجُ إلى ناصرٍ في إهلاكه؛ ف «وَحِيداً» على هذا حالٌ من ضمير الفاعل، وهو^(٣) التاء في «خَلَقْتُ»، والأوَّل قولُ مجاهد^(٤)، أي: خلقتُه وحيداً في بطن أمِّه؛ لا مالَ له ولا ولد، فأنعمتُ عليه فكفر؛ فقوله: «وَحِيداً» على هذا يرجع إلى الوليد، أي: لم يكن له شيءٌ فملكته.

وقيل: أرادَ بذلك ليدلَّه على أَنَّهُ يُعْتَبَرُ وحيداً كما خُلِقَ وحيداً^(٥).

وقيل: الوحيدُ الذي لا يُعرَفُ أبوه، وكان الوليدُ معروفاً بأنَّه دَعِيٌّ؛ كما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿عُتِّلْ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنِيراً﴾ [القلم: ١٣]؛ وهو في صفة الوليد أيضاً. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً﴾ أي: حَوَّلْتُه وأعطيتُه مالاً ممدوداً، وهو ما كان للوليد بين مكَّة والطائف من الإبل والحُجُور^(٦)، والنَّعم والجنان، والعبيد والجواري، كذا كان ابنُ عباس يقول^(٧). وقال مجاهد: غلَّة ألف دينار؛ قاله سعيد بنُ

(١) ينظر تفسير الرازي ١٩٨/٣٠.

(٢) الكشاف للزمخشري ١٨١/٤.

(٣) في النسخ الخطية: وهي.

(٤) النكت والعيون ١٣٩/٦، وأخرجه الطبري ٤٢١/٢٣.

(٥) النكت والعيون ١٣٩/٦.

(٦) جمع حَجْر؛ وهي الفرس الأثني، لم يدخلوا فيه الهاء لأنه اسم لا يشركها فيه المذكر. اللسان (حجر).

(٧) ذكره بنحوه البغوي في تفسيره ٤١٤/٤.

جبير وابن عباس أيضاً^(١). وقال قتادة: ستة آلاف دينار^(٢). وقال سفيان الثوري وقاتة: أربعة آلاف دينار^(٣). الثوري أيضاً: ألف ألف دينار. مقاتل: كان له بستان لا ينقطع خيره شتاءً ولا صيفاً^(٤). وقال عمر رضي الله عنه: «وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً»: غلة شهر بشهر. النعمان بن سالم: أرضاً يزرع فيها^(٥). القشيري: والأظهر أنه إشارة إلى ما لا ينقطع رزقه، بل يتوالى كالزرع والضرع والتجارة.

قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾ أي: حضوراً لا يغيبون عنه في تصرف. قال مجاهد وقاتة: كانوا عشرة^(٦). وقيل: اثنا عشر؛ قاله السدي^(٧) والضحاك. قال الضحاك: سبعة ولدوا بمكة، وخمسة ولدوا بالطائف^(٨). وقال سعيد بن جبير: كانوا ثلاثة عشر ولداً^(٩).

مقاتل: كانوا سبعة كلهم رجال، أسلم منهم ثلاثة: خالد وهشام والوليد بن الوليد^(١٠). قال: فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك.

(١) أخرجه عن مجاهد وسعيد بن جبير الطبري ٤٢٢/٢٣ ، وذكره عن ابن عباس ابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٤/٨ .

(٢) النكت والعيون ١٣٩/٦ .

(٣) المحرر الوجيز ٣٩٤/٥ .

(٤) تفسير البغوي ٤١٤/٤ .

(٥) تفسير الطبري ٤٢٣/٢٣ .

(٦) تفسير البغوي ٤١٤/٤ ، والمحرر الوجيز ٣٩٤/٥ .

(٧) زاد المسير ٤٠٥/٨ .

(٨) النكت والعيون ١٤٠/٦ .

(٩) المحرر الوجيز ٣٩٤/٥ .

(١٠) تفسير البغوي ٤١٤/٤ ، وفيه: عمارة. بدل: الوليد. وذكر الخبير أيضاً الحافظ ابن حجر في الإصابة في القسم الرابع ٢٤/٨ ، في ترجمة عمارة بن الوليد، ثم قال: والصواب: خالد، وهشام، والوليد، فأما عمارة فإنه مات كافراً.

وقيل: شهوداً، أي: إذا ذُكر ذُكروا معه؛ قاله ابنُ عباس. وقيل: شهوداً، أي: قد صاروا مثله في شهود ما كان يشهده، والقيام بما كان يباشره. والأول قولُ السُّديّ^(١)، أي: حاضرين مَكَّة لا يظعنون عنه في تجارة ولا يغيبون.

قوله تعالى: ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ أي: بسطتُ له في العيش بسطاً، حتى أقام ببلدته مطمئناً مترفهاً يُرجع إلى رأيه. والتمهيدُ عند العرب: التوطئة والتهيئة؛ ومنه مهْدُ الصبيّ.

وقال ابن عباس: «وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا» أي: وسَّعتُ له بين اليمن والشام؛ وقاله مجاهد^(٢).

وعن مجاهدٍ أيضاً في «وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا»: أنه المالُ بعضُه فوقَ بعض كما يُمهَّد الفراش.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ أي: ثم إنَّ الوليدَ يطمعُ بعد هذا كلُّه أن أزيدَه في المال والولد.

﴿كَلَّا﴾ أي: ليس يكونُ ذلك مع كفره بالنعم. وقال الحسن وغيره: أي: ثم يطمعُ أن أدخِله الجنَّة^(٣) وكان الوليدُ يقول: إن كان محمدٌ صادقاً، فما خلقت الجنَّة إلا لي؛ فقال الله تعالى ردّاً عليه وتكديباً له: «كَلَّا» أي: لستُ أزيدُه، فلم يزل يرى النقصان في ماله وولده حتى هلك^(٤).

و«ثُمَّ» في قوله تعالى: «ثُمَّ يَطْمَعُ» ليست بضم التي للنسق، ولكنها تعجيب؛ وهي كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ١] وذلك كما تقول: أعطيتك ثم أنت تجفوني؛ كالمتعجب من ذلك^(٥)

(١) النكت والعيون ٦/١٤٠ .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٤/٤١٤ عن الكلبي.

(٣) زاد المسير ٨/٤٠٥ .

(٤) الكلام بنحوه في الكشف للزمخشري ٤/١٨٢ .

(٥) تفسير الرازي ٣٠/١٩٩ .

وقيل: يطمعُ أن أترك ذلك في عقبه؛ وذلك أنه كان يقول: إنَّ محمداً مبتور، أي: أبتَر؛ وينقطع ذكره بموته، وكان يظنُّ أن ما رُزِق لا ينقطع بموته. وقيل: أي: ثمَّ يطمع أن أنصره على كفره.

و«كَلًّا» قطعٌ للرجاء عما كان يطمعُ فيه من الزيادة؛ فيكون متصلاً بالكلام الأول. وقيل: «كَلًّا» بمعنى حقًّا؛ ويكون ابتداءً. ﴿إِنَّهُ﴾ يعني الوليد ﴿كَانَ لِأَيِّنَّا عَيْنِدًا﴾ أي: معانداً للنبي ﷺ وما جاء به - يقال: عاند فهو عنيِد، مثل: جالس فهو جليس - قاله مجاهد^(١). وَعَنْدٌ يَعْنِدُ بالكسر، أي: خالف وردَّ الحقُّ وهو يعرفه، فهو عنيِد وعانيد. والعانيد: البعير الذي يجورُ عن الطريق، ويعدِّل عن القصد، والجمع عُنْدٌ، مثل: رايح ورُكَّع، وأنشد أبو عبيدة قول الحارثي^(٢):

إِذَا رَكِبْتُ فَاجْعَلَانِي وَسَطًا إني كَبِيرٌ لَا أَطِيقُ الْعُنْدًا^(٣)

وقال أبو صالح: «عنيِدًا» معناه: مُبَاعِدًا؛ قال الشاعر:

أَرَانَا عَلَى حَالٍ تُفَرِّقُ بَيْنَنَا نَوَى غَرْبَةً^(٤) إِنَّ الْفِرَاقَ عَنُودٌ

قتادة: جاحداً. مقاتل: معرضاً^(٥). ابن عباس: جَحُوداً^(٦). وقيل: إنه المُجَاهِر بعدوانه^(٧).

وعن مجاهد أيضاً قال: مجانِباً للحقِّ، معانداً له معرضاً عنه^(٨). والمعنى كلُّه متقارب. والعرب تقول: عَنَدَ الرجل: إذا عَتَا وجاوز قدره. والعَنُودُ من الإبل: الذي

(١) أخرجه الطبري ٤٢٦/٢٣ بنحوه.

(٢) في مجاز القرآن ٢/٢٧٥، وفيه: الحادي. بدل: الحارثي.

(٣) الصحاح (عند)، والرجز سلف ١١/١٤٧، ١٢/١١٨.

(٤) نوى غربة، أي: بعيدة. الصحاح (غرب).

(٥) النكت والعيون ٦/١٤١.

(٦) أخرجه الطبري ٤٢٥/٢٣.

(٧) النكت والعيون ٦/١٤١.

(٨) أخرجه الطبري ٤٢٦/٢٣.

لا يخالط الإبل، إنما هو في ناحية [أبدأ]. ورجلٌ عَنُود: إذا كان يَحُلُّ وحده لا يخالط الناس. والعنيد من التَجْبُر. وِعِرْق عاند: إذا لم يَرَقاً دمه، كل هذا قياس واحد. وقد مضى في سورة إبراهيم^(١). وجمع العنيد عُنْد، مثل: رَغِيف ورَغُف^(٢).

قوله تعالى: ﴿سَأَكْفُهُ﴾ أي: سأكلفه. وكان ابنُ عباس يقول: سَأَلَجِئُهُ؛ والإرهاق في كلام العرب: أن يُحْمَل الإنسانُ على الشيء.

﴿صَعُودًا﴾ «الصَّعُودُ: جبلٌ من نار يتصعَّد فيه [الكافر] سَبْعِينَ خَرِيفًا، ثمَّ يَهْوِي كذلك فيه أبدأ». رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ، خَرَّجَه الترمذي وقال فيه: حديثٌ غريب^(٣).

وَرَوَى عطية عن أبي سعيد قال: صخرةٌ في جهنم إذا وَضَعُوا عليها أيديهم ذابت، فإذا رفعوها عادت^(٤).

قال: فيبلغ أعلاها في أربعين سنة؛ يُجذب من أمامه بسلاسل، ويضرب من خلفه بمقامع، حتى إذا بلغ أعلاها، رُمي به إلى أسفلها، فذلك دأبه أبدأ. وقد مضى هذا المعنى في سورة «قُلْ أَوْحِي»^(٥)

وفي التفسير: أنه صخرةٌ ملساء يكلف صعودها، فإذا صار في أعلاها حُدِر في جهنم، فيقوم يهوي ألف عام من قبل أن يبلغ قرار جهنم، يحترق في كل يوم سبعين مرة، ثمَّ يُعاد خلقاً جديداً.

وقال ابن عباس: المعنى: سأكلفه مشقةً من العذاب لا راحةً له فيه. ونحوه عن

(١) ١١٨/١٢، وينظر تهذيب اللغة ٢/٢٢٢، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) الصحاح (عند).

(٣) سنن الترمذي (٢٥٧٦)، (٣٣٢٦)، وما بين حاصرتين منه، وهو عند أحمد (١١٧١٢).

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/٤٢٦-٤٢٧.

(٥) هو قول الكلبي كما سلف ص ٢٩٧ من هذا الجزء، والذي ينزل به هذا العذاب هو المغيرة. وينظر

الوسيط للواحدي ٤/٣٨٢، وتفسير البغوي ٤/٤١٥.

الحسن وقتادة^(١). وقيل: إنه تصاعد نفسه للنزع وإن لم يتعقبه موت؛ ليعذب من داخل جسده كما يعذب من خارجه^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَسَبَّ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ يعني الوليد؛ فكَّر في شأن النبي ﷺ والقرآن، و«قَدَّرَ» أي: هيأ الكلام في نفسه، والعرب تقول: قَدَّرْتُ الشيء: إذا هيأته، وذلك أنه لما نزل: ﴿حَمْدٌ تَبْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١-٣] سمعه الوليد يقرؤها فقال: والله لقد سمعتُ منه كلاماً ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وإنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أعلاه لمثمر، وإنَّ أسفله لمغدق، وإنَّه ليعلو ولا يُعلى عليه، وما يقول هذا بشر. فقالت قريش: صَبَأَ الوليد لتَضْبُونِ قريش كلها. وكان يقال للوليد: ريحانة قريش؛ فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه. فانطلق^(٣) إليه حزينا؟ فقال له: مالي أراك حزينا. فقال له: ومالي لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة، يعينونك بها على كِبَر سنك، ويزعمون أنك زينت كلام محمد، وتدخل على ابن أبي كبشة، وابن أبي قحافة، لتنال من فضل طعامهما؛ فغضب الوليد وتكبر، وقال: أنا أحتاج إلى كسر محمد وصاحبه! فأنتم تعرفون قدر مالي، واللآت والعزى مابي حاجة إلى ذلك، وإنما أنتم تزعمون أن محمداً مجنون، فهل رأيتموه قطُّ يُحَقِّق؟ قالوا: لا والله. قال: فتزعمون أنه كاهن، فهل رأيتموه تكهن قطُّ؟ ولقد رأينا للكهنة أسجاعاً وتخالجاً، فهل رأيتموه كذلك؟ قالوا: لا والله. قال: فتزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه نطق بشعر قطُّ؟ قالوا: لا. قال: فتزعمون أنه

(١) أخرجه عن قتادة الطبري ٤٢٧/١٩، وذكره عن الحسن الماوردي في النكت والعيون ١٤١/٦.

(٢) النكت والعيون ١٤١/٦.

(٣) في (م): فمضى.

كذّاب، فهل جرّبتم عليه كذباً قط؟ قالوا: لا^(١) - وكان النبي ﷺ يُسمّى الصادق الأمين من كثرة صدقه - فقالت قريشٌ للوليد: فما هو؟ ففكّر في نفسه، ثم نظر، ثم عبس، فقال: ما هو إلا ساحر! أمّا رأيتموه يفرّق بين الرجل وأهله وولده ومواليه؟! فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ أي: في أمرٍ محمدٍ والقرآن، «وَقَدَّرَ» في نفسه ماذا يمكنه أن يقولَ فيهما. ﴿فَقُتِلَ﴾ أي: لعن^(٢)

وكان بعضُ أهل التاويل يقول: معناها: فقهر وغلب، وكلُّ مُدَلِّلٍ مُقْتَلٍ؛ قال

الشاعر:

وَمَا دَرَقْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَقْدَحِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَغْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ^(٣)
وقال الزهري: عُدْبٌ؛ وهو من باب الدعاء^(٤).

﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ قال ناسٌ: «كَيْفَ» تعجيب؛ كما يقال للرجل تتعجّب من صنيعه:

كيف فعلت هذا؟ وذلك كقوله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ [الإسراء: ٤٨].

﴿ثُمَّ قُتِلَ﴾ أي: لعن لعناً بعد لعن. وقيل: فقُتِلَ بضربٍ من العقوبة، ثم قُتِلَ بضربٍ آخر من العقوبة ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ أي: على أيِّ حالٍ قَدَّرَ .

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ بأي شيء يردُّ الحقَّ ويدفعه. ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ أي: قَطَّبَ بين عينيه في وجوه المؤمنين؛ وذلك أنه لما حَمَلَ قريشاً على ما حَمَلَهُمْ عليه من القول في محمد ﷺ بأنّه ساحر، مرّ على جماعةٍ من المسلمين، فدعوه إلى الإسلام، فعبس في وجوههم. وقيل: عَبَسَ وبَسَرَ على النبي ﷺ حين دعاه^(٥).

(١) في (م): لا والله في الموضعين الأخيرين. ووقع في النسخ تقديم وتأخير بين العبارات.

(٢) تفسير البغوي ٤/٤١٦.

(٣) البيت من معلقة امرئ القيس، وهو في ديوانه ص ١٣. قال شارحه: وأراد بالسهمين: العينين. والأعشار: القطع والقسور، يقول: ما بكيت إلا لتجرحي قلباً معشراً، أي: مكسراً، ولم تبكي لأنك مظلومة.

(٤) تفسير البغوي ٤/٤١٦.

(٥) النكت والعيون ٦/١٤٢.

والعَبْسُ مخففاً: مصدرُ عَبَسَ يَعْبِسُ عَبْساً وَعُبُوساً: إذا قَطَبَ. والعَبْسُ: ما يتعلق بأذنان الإبل من أبعارها وأبوالها؛ وقال أبو النجم:

كَأَنَّ فِي أذْنَابِهِنَّ الشُّوْلَ مِنْ عَبَسِ الصَّيْفِ قُرُونَ الْأَيْلِ^(١)
﴿وَبَسَّرَ﴾ أَي: كَلَّحَ وَجْهَهُ، وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ؛ قَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ بَشْرِ بْنِ أَبِي خَازِمٍ:

صَبَّخْنَا تَمِيمًا غَدَاةَ الْجِفَارِ بِشَهْبَاءَ مَلْمُومَةٍ بِاسِيرَةٍ^(٢)
وَقَالَ آخِرُ^(٣)

وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا صُدُودَ رَأْيْتُهُ وَإِعْرَاضَهَا عَنْ حَاجَتِي وَبُسُورُهَا
وَقِيلَ: إِنَّ ظَهْرَ الْعُبُوسِ فِي الْوَجْهِ [يَكُونُ] بَعْدَ الْمَحَاوِرَةِ، وَظَهْرَ الْبُسُورِ فِي الْوَجْهِ قَبْلَ الْمَحَاوِرَةِ^(٤).

وَقَالَ قَوْمٌ: «بَسَّرَ»: وَقَفَ لَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ، قَالُوا: وَكَذَلِكَ يَقُولُ أَهْلُ الْيَمَنِ إِذَا وَقَفَ الْمَرْكَبُ فَلَمْ يَجِءْ وَلَمْ يَذْهَبْ: قَدْ بَسَّرَ الْمَرْكَبُ وَأَبَسَّرَ، أَي: وَقَفَ، وَقَدْ أَبَسَّرْنَا. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: وَجْهُ بَاسِرٌ بَيْنَ الْبُسُورِ: إِذَا تَغَيَّرَ وَاسْوَدَّ.
﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ أَي: وَلَّى وَأَعْرَضَ ذَاهِباً إِلَى أَهْلِهِ. ﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾ أَي: تَعَطَّطَ عَنْ أَنْ يُؤْمِنَ. وَقِيلَ: أَذْبَرَ عَنِ الْإِيمَانِ، وَأَسْتَكْبَرَ حِينَ دُعِيَ إِلَيْهِ^(٥).

(١) ديوان أبي النجم العجلي ص ١٩١. شالت الناقة بذنيها تشوله شولاً، أي: رفعته. والأيل: الذكر من الأوعال، وكذلك الإيل، بكسر الهمزة. اللسان (شول)، (أول) والكلام في إصلاح المنطق ص ٩٥-٩٦.
(٢) جاء في حواشي بعض النسخ كما في (م) ما نصه: قوله: بشهباء، أراد بكتيبة شهباء؛ ومنه قول عنترة [في ديوانه ص ٧٤]:

وكتيبة لبسئها بكتيبة شهباء باسلة يخاف رذاها
ويقال: كتيبة ململمة وملمومة أيضاً، أي: مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض. وصخرة ملمومة وململمة، أي: مستديرة صلبة؛ قاله الجوهري [الصحاح (لم)].

(٣) هو توبة بن الحُمير. والبيت في ديوانه ص ٣٤.

(٤) النكت والعيون ١٤٢/٦.

(٥) تفسير البغوي ٤١٦/٤.

﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا﴾ أي: ما هذا الذي أتى به محمد ﷺ ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ أي: يَأْتُرُهُ عن

غيره.

والسحر: الخديعة. وقد تقدّم بيانه في سورة البقرة^(١). وقال قوم: السحر: إظهارُ الباطل في صورة الحق.

والأثر^(٢): مصدرُ قولك: أثرت الحديثَ أثره: إذا ذكرته عن غيرك؛ ومنه قيل: حديثٌ مأثور، أي: ينقله خلفٌ عن سلف^(٣)؛ قال امرؤ القيس:

ولو عن نثا غيره جاءني وجرح اللسان كجرح اليد
لقلت من القول مالا يرا لئؤثر عني يد المسند^(٤)

يريد: آخر الدهر.

وقال الأعشى^(٥)

إن الذي فيه تمارئتما بين لسامع والآثر
ويروي: بين^(٦).

﴿إِنَّ هَذَا﴾ إِلَّا قَوْلَ الْبَشَرِ﴾ أي: ما هذا إِلَّا كلام المخلوقين، يَخْتَدَعُ به القلوب كما تُخْتَدَعُ بالسحر. قال السُّدِّي: يعنون أنه من قول سيار^(٧) عبد لبني الحضرمي، كان

(١) ٢٧٢/٢ - ٢٧٣.

(٢) في (م): والآثر.

(٣) الصحاح (أثر).

(٤) ديوان امرئ القيس ص ١٨٥-١٨٦. والثنا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ. والمسند: الدهر. القاموس (نثا، سند).

(٥) ديوانه ص ١٩١، بلفظ: والناظر. بدل: والآثر، وسلف ١٨١/١٩.

(٦) الصحاح (أثر).

(٧) في (د): بشار، وفي (ظ): يسار، وفي النكت والعيون: أبي اليسر، وفي نسخة كما في حاشية (م): أبي اليسر سيار.

يجالسُ النبي ﷺ، فنسبوه إلى أنه تعلم منه ذلك^(١). وقيل: أراد أنه تلقَّنه من أهل بابل. وقيل: عن مُسَيْلِمة^(٢). وقيل: عن عديّ الحضرميِّ الكاهن. وقيل: إنّما تلقَّنه ممن ادَّعى النبوة من قبل، فنسجَ على منوالهم. قال أبو سعيد الضرير: إنّ هذا إلا أمرٌ سحرٍ يؤثر، أي: يورث.

قوله تعالى: ﴿سَأْصِلِيهِ سَقْرًا ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقْرٌ ۗ لَا يُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۗ لَوَاحِةٌ ۖ لِّبَشَرٍ ۗ﴾

قوله تعالى: ﴿سَأْصِلِيهِ سَقْرًا﴾ أي: سأدخله سقر كي يَضَلِّي حرَّها. وإنَّما سُمِّيت سقراً؛ من سَقَرْتَهُ الشمسُ: إذا أذابتَه ولوّحتَه، وأحرقَتْ جِلْدَةَ وجهه. ولا ينصرفُ للتعريف والتأنيث. قال ابن عباس: هي الطبقة السادسة من جهنم^(٣). وروى أبو هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «سأل موسى ربّه فقال: أيُّ ربِّ، أيُّ عبادك أفقر؟ قال صاحبُ سَقْرٍ». ذكره الثعلبي^(٤).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقْرٌ﴾ هذه مبالغة في وصفها، أي: وما أعلمك أيُّ شيء هي؟ وهي كلمة تعظيم، ثم فسّر حالها فقال: ﴿لَا يُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ أي: لا تتركُ لهم عظماً ولا لحماً ولا دماً إلا أحرقتَه. وكرّر اللفظ تأكيداً. وقيل: لا تُبقي منهم شيئاً، ثم يعادون خلقاً جديداً، فلا تذر أن تعاود إحراقهم هكذا أبداً^(٥). وقال مجاهد: لا تُبقي مَنْ فيها حيّاً، ولا تذرُه ميتاً، تُحرقُهم كلما جُدُّوا. وقال السُّديّ: لا تُبقي لهم لحماً ولا تذرُ لهم عظماً^(٦).

(١) النكت والعيون ١٤٣/٦ .

(٢) ينظر تفسير أبي الليث ٤٢٢/٣ .

(٣) تفسير الرازي ٢٠٢/٣٠ .

(٤) وأخرجه بهذا اللفظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٣٥/٦١-١٣٦ مطولاً، وأخرجه ابن حبان أيضاً في صحيحه (٦٢١٧) بإسناد ابن عساكر، ولفظه عنده: صاحب مقوص بدل: صاحب سقر. ولعل لفظه سقر مُحَرَّفَةٌ عن لفظه مقوص. والله أعلم. وفي إسناده دراج؛ أبو السمح المصري قال أحمد: أحاديثه مناكير، وليّنه، وقال أبو حاتم: ضعيف. ميزان الاعتدال ٢٤/٢ .

(٥) الكلام بنحوه في الوسيط للواحد ٣٨٤/٤، وزاد المسير ٤٠٧/٨ .

(٦) تفسير البغوي ٤١٦/٤ .

﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ أي: مُعَيَّرَةٌ، من لاحه: إذا غَيَّرَهُ^(١).

وقراءة العامة: «لَوَّاحَةٌ» بالرفع نعتٌ لـ «سَفَرٌ» في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَفَرٌ﴾. وقرأ عطية العوفي ونصر بن عاصم وعيسى بن عمر: «لَوَّاحَةٌ» بالنصب على الاختصاص، للتهويل^(٢). وقال أبو رزين: تلفح وجوههم لَفْحَةً؛ تدعها أشد سواداً من الليل^(٣)؛ وقاله مجاهد^(٤).

والعربُ تقول: لاحه البردُ والحرُّ، والسُّقمُ والحُزنُ: إذا غَيَّرَهُ؛ ومنه قول الشاعر:

تَقُولُ مَا لَاحَكَ يَا مُسَافِرُ يَا ابْنَةَ عَمِّي لَاحِنِي الْهَوَاجِرُ^(٥)
وقال آخر:

وَتَعَجَّبُ هِنْدٌ أَنْ رَأَتْ نِي شَاحِبًا تَقُولُ لِشَيْءٍ لَوَّاحَتِهِ السَّمَائِمُ^(٦)
وقال رؤبة بن العجاج:

لَوَّاحٌ مِنْهُ بَعْدَ بُذْنٍ وَسَنَقٍ تَلْوِيحَكَ الصَّامِرُ يُطَوِّي لِلْسَّبَقِ^(٧)
وقيل: إنَّ اللوحَ شِدَّةُ العَطشِ؛ يقال: لاحه العطشُ ولَوَّحه، أي: غَيَّرَهُ. والمعنى: أَنَّهَا مَعْطِشَةٌ للبشرِ، أي: لأهلها؛ قاله الأخفش، وأنشد:

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩٦.

(٢) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٦٤، وقال: حكاه أبو معاذ. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٧/٨ لابن مسعود وابن السميع وابن أبي عبله، ونسبها أبو حيان في البحر ٣٧٥/٨ للعوفي وزيد بن علي والحسن وابن أبي عبله. وينظر الكشاف للزمخشري ١٨٣/٤، والمحرق الوجيز ٣٩٦/٥.

(٣) النكت والعيون ١٤٣/٦.

(٤) تفسير البغوي ٤١٦/٤.

(٥) الرجز في الكشاف ١٨٣/٤، وذكر أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٧٥/٢ البيت الثاني منه.

(٦) لم نقف عليه.

(٧) ديوان رؤبة ص ١٠٤، قوله: لوح منه: يقال: لاحه السفر ولَوَّحه: غيره وأضمره، والسَّنَقُ؛ بفتحتين: البشم، يقال: شرب الفصيل حتى سَنَقَ يسَنَقُ، وهو كالتخمة، قال الأصمعي: والسنق: كراهة الطعام من كثرتة على الإنسان حتى لا يشتهي، وقوله: يُطَوِّي: أي: يجرِّعُ ويضمر. خزنة الأدب ٨٧/١.

سَقَتْنِي عَلَى لَوْحٍ مِّنَ الْمَاءِ شَرِبْتَهُ سَقَاهَا بِهَا الرَّهَامَ الْعَوَادِيَا
يعني باللَّوحِ شِدَّةُ الْعَطَشِ^(١) وَالنَّاحِ أَي: عَطِش^(٢). وَالرَّهَامَ جَمْعُ رِهْمَةٍ؛ بِالْكَسْرِ
وَهِيَ: الْمَطْرَةُ الضَّعِيفَةُ [الدَّائِمَةُ]، وَأَرَهَمْتُ السَّحَابَةَ: أَتَيْتُ بِالرَّهَامِ^(٣).

وقال ابنُ عباس: «لَوْاحَةٌ» أَي: تَلَوُّحٌ لِلبَشَرِ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ.
الْحَسَنُ وَابْنُ كَيْسَانَ: تَلَوُّحٌ لَهُمْ جَهَنَّمُ حَتَّى يَرَوْهَا عَيْنَانًا. نَظِيرُهُ: ﴿وَيُزَيَّرُ الْجَحِيمُ
لِلْعَاوِينَ﴾^(٤) [الشعراء: ٩١].

وَفِي الْبَشْرِ وَجْهَانٌ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ قَالَهُ الْأَخْفَشُ وَالْأَكْثَرُونَ.
الثَّانِي: أَنَّهُ جَمْعُ بَشْرَةٍ، وَهِيَ جِلْدَةُ الْإِنْسَانِ الظَّاهِرَةُ؛ قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ^(٥).
وَجَمْعُ الْبَشْرِ أَبْشَارٌ، وَهَذَا عَلَى التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ، وَأَمَّا عَلَى تَفْسِيرِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَلَا
يَسْتَقِيمُ فِيهِ إِلَّا النَّاسُ لَا الْجُلُودَ؛ لِأَنَّهُ مِنْ لَاحِ الشَّيْءِ يُلَوِّحُ: إِذَا لَمَعَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾^(٦) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا
عِدَّتَهُمْ إِلَّا يَوْمَنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا
كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْبَشَرِ ﴿٣١﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ أَي: عَلَى سَقَرٍ تِسْعَةَ عَشَرَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَلْقَوْنَ فِيهَا

(١) النكت والعيون ١٤٣/٦ .

(٢) الصحاح (لوح).

(٣) الصحاح (رهم).

(٤) تفسير البغوي ٤١٦/٤ .

(٥) النكت والعيون ١٤٣/٦ .

أهلها. ثم قيل: على جملة النار تسعة عشر من الملائكة هم خَزَنَتُهَا؛ مَالِكٌ وَثَمَانِيَةٌ عَشْرَ مَلَكًا^(١).

وَيَحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ التَّسْعَةُ عَشْرَ نَقِيْبًا، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ تِسْعَةٌ عَشْرَ مَلَكًا بِأَعْيَانِهِمْ وَعَلَى هَذَا أَكْثَرُ الْمَفْسِرِينَ.

الثعلبي: وَلَا يُنْكَرُ هَذَا، فَإِذَا كَانَ مَلَكٌ وَاحِدٌ يَقْبِضُ أَرْوَاحَ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ؛ كَانَ أُخْرَى أَنْ يَكُونَ تِسْعَةٌ عَشْرَ عَلَى عَذَابِ بَعْضِ الْخَلَائِقِ.

وقال ابنُ جريج: نَعَتْ النَّبِيَّ ﷺ خَزَنَةَ جَهَنَّمَ فَقَالَ: «كَانَ أَعْيُنُهُمُ الْبَرْقُ، وَكَانَ أَفْوَاهُهُمُ الصِّيَاصِي، يَجْرُونَ أَشْعَارَهُمْ، لِأَحْدِهِمْ مِنَ الْقُوَّةِ مِثْلُ قُوَّةِ الثَّقَلَيْنِ، يَسُوقُ أَحْدَهُمُ الْأُمَّةَ وَعَلَى رِقْبَتِهِ جَبَلٌ، فَيَرْمِيهِمْ فِي النَّارِ، وَيَرْمِي فَوْقَهُمُ الْجَبَلَ»^(٢).

قلت: وَذَكَرَ ابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلْمَةَ، عَنِ الْأَزْرَقِ بْنِ قَيْسٍ، عَنِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي الْعَوَّامِ، فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ . لَا يُبْقِي وَلَا يَنْدَرُ . لَوَاحَةٌ لِلْبَّسْرِ . عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشْرَ﴾. فَقَالَ: مَا تِسْعَةُ عَشْرَ؟ تِسْعَةُ عَشْرَ أَلْفِ مَلَكٍ، أَوْ تِسْعَةُ عَشْرَ مَلَكًا؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، بَلْ تِسْعَةُ عَشْرَ مَلَكًا. قَالَ: وَأَنْتَى تَعْلَمُ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ: لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قَالَ: صَدَقْتَ، هُمْ تِسْعَةُ عَشْرَ مَلَكًا، بِيَدِ كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ مِرْزَبَةٌ لَهَا شُعْبَتَانِ، فَيَضْرِبُ الضَّرْبَةَ فَيُهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ أَلْفًا^(٣).

وعن عمرو بن دينار: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَدْفَعُ بِالذَّفْعَةِ الْوَاحِدَةِ فِي جَهَنَّمَ أَكْثَرَ مِنْ رِبْعَةِ وَمُضْرٍ^(٤).

(١) ينظر تفسير البغوي ٤١٧/٤ .

(٢) النكت والعيون ١٤٦/٦ ، والكشاف للزمخشري ١٨٤/٤ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٨٥/٦ وعزاه لابن مردويه، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الكافي الشاف ص ١٨٠ : لم أجده.

(٣) الزهد لابن المبارك (٣٤٠- زوائد نعيم). وسلفت قطعة منه ٣٤٤/١٤ . والمرزبة: هي المطرقة الكبيرة التي تكون للحداد. النهاية (رزب).

(٤) تفسير البغوي ٤١٧/٤ ، والكشاف للزمخشري ١٨٤/٤ .

وخرَجَ الترمذي عن جابر بن عبد الله^(١) قال: قال ناسٌ من اليهود لأناسٍ من أصحاب النبي ﷺ: هل يعلم نبيكم عددَ خزنة جهنم؟ قالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا^(٢). فجاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد غلب أصحابك اليوم؛ فقال: «وماذا^(٣) غلبوا؟» قال: سألهم يهود: هل يعلم نبيكم عددَ خزنة جهنم؟ قال: «فماذا قالوا؟» قال: قالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا. قال: «أغلب^(٤) قومٌ سئِلوا عمَّا لا يعلمون، فقالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا؟ لكنهم قد سألوا نبيهم، فقالوا: أرنا الله جهرة! عليّ بأعداء الله؛ إني سأئلهم عن تُربة الجنة وهي الدرّمك». فلمَّا جاؤوا قالوا: يا أبا القاسم، كم عدد خزنة جهنم؟ قال: «هكذا وهكذا». في مرةٍ عشرة، وفي مرةٍ تسع^(٥). قالوا: نعم. قال لهم النبي ﷺ: «ما تُربةُ الجنة» قال: فسكتوا هنيهةً، ثم قالوا: أخْبِزَةٌ يا أبا القاسم؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «الخبزُ من الدرّمك».

قال أبو عيسى: هذا حديثٌ غريب، إنمَّا نعرفه من هذا الوجه من حديث مجالد، عن الشَّعْبِيِّ، عن جابر^(٦).

وذكر ابنُ وهب قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ في خزنة جهنم: «ما بين منكبَيْ أحدهم، كما بين المشرق والمغرب»^(٧).

وقال ابنُ عباس: ما بين منكبَيْ الواحد منهم مسيرة سنة، وقوة الواحد منهم أن يضربَ بالمِقْمَعِ فيدفع بتلك الضربة سبعين ألفَ إنسانٍ في قعر جهنم^(٨).

(١) في النسخ الخطية: عن عبد الله. والمثبت من (م) وسنن الترمذي.

(٢) في النسخ الخطية: نسأله.

(٣) في (ظ) و(ي): وبماذا، وفي نسخة كما في حاشية (م) وسنن الترمذي: وبم.

(٤) في سنن الترمذي: أيغلب.

(٥) في (د) و(م) و(ي): تسعة.

(٦) سنن الترمذي (٣٣٢٧)، وهو عند أحمد مختصراً (١٤٨٨٣). قال السندي - كما في حاشيته على المسند -: الدرّمك: هو الدقيق الخالص، والخبزة: هي العجين.

(٧) سلف ص ٩٥ من هذا الجزء.

(٨) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣١٣/٨، وسلف ص ٩٥ من هذا الجزء.

قلت: والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر، هم الرؤساء والنقباء، وأما جملتهم فالعبارة^(١) عنها كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَمْلِكُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»^(٢). وقال ابن عباس وقتادة والضحاك: لما نزل: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم! أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة جهنم تسعة عشر، وأنتم الدهم^(٣) - أي: العدد - والشجعان، فيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم!^(٤) قال السدي: فقال أبو الأشد^(٥) بن كلداء الجمحي: لايهولنكم التسعة عشر، أنا أذفع بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة، وبمنكبي الأيسر التسعة، ثم تمرن إلى الجنة. يقولها مستهزئاً.

في رواية: أن الحارث بن كلداء قال: أنا أكفيكم سبعة عشر، واكفوني أنتم اثنين^(٦).

وقيل: إن أبا جهل قال: أفيعجز كل مئة منكم أن يبطشوا بواحد منهم، ثم

(١) بعدها في (م): تعجز.

(٢) صحيح مسلم (٢٨٤٢).

(٣) في النسخ الخطية: الدهماء، والمثبت من (م).

(٤) تفسير البغوي ٤/٤١٧، وأخرجه عن ابن عباس وقتادة الطبري ٢٣/٤٣٦.

(٥) في النسخ ما عدا (ي): الأسود. والمثبت من (ي)، وهو موافق للنكت والعيون ٦/١٤٥ - وعنه نقل المصنف - ، وتفسير البغوي ٤/٤١٧. وذكر الخبر الواحد في الوسيط ٤/٣٨٤ ووقع فيه: أبو الأشدين، وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٨/٤٠٨ وقال: قال مقاتل اسمه: أسيد بن كلداء، وقال غيره: كلداء بن خلف الجمحي.

(٦) لم تقف عليها من قول الحارث بن كلداء، والرواية في تفسير البغوي ٤/٤١٧، والقائل فيه: أبو الأشد أسيد بن كلداء، وذكر الرواية الزمخشري في الكشاف ٤/١٨٤، والرازي في تفسيره ٣٠/٢٠٤، وعندهما: أبو الأشد ابن أسيد بن كلداء الجمحي، وذكر الفراء في معاني القرآن ٣/٢٠٣-٢٠٤ أن القائل رجل من بني جمح. كان يكنى: أبا الأشدين.

تخرجون من النار^(١)؟ فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَيْكَةً﴾ أي: لم نجعلهم رجالاً فتتعاطون مغالبتهم. وقيل: جعلهم ملائكة؛ لأنهم خلاف جنس المعديين من الجن والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذ المجانيس من الرافة والرقة، ولا يستروحون إليهم، ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له، فتؤمن هواتهم، ولأنهم أشد خلق الله بأساً، وأقواهم بطشاً^(٢).

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمُ إِلَّا فِتْنَةً﴾ أي: بليّة. ورؤي عن ابن عباس من غير وجه قال: ضلالة للذين كفروا، يريد أبا جهل وذويه. وقيل: إلا عذاباً، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نُمَّ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ دُوقُوا فَيُنْتَكِرُ﴾ [الذاريات: ١٣-١٤]. أي: جعلنا ذلك سبب كفرهم، وسبب العذاب.

وفي «تِسْعَةَ عَشْرَ» سبع قراءات: قراءة العامة: «تِسْعَةَ عَشْرَ». وقرأ أبو جعفر بن القَعْقَاع وطلحة بن سليمان: «تِسْعَةَ عَشْرَ» بإسكان العين. وعن ابن عباس: «تِسْعَةُ عَشْرَ» بضم الهاء^(٣). وعن أنس بن مالك: «تِسْعَةُ وَعَشْرَ»^(٤). وعنه أيضاً: «تِسْعَةُ وَعَشْرَ». وعنه أيضاً: «تِسْعَةَ أَعَشْرَ»^(٥). ذكرها المهدوي وقال: من قرأ: «تِسْعَةَ عَشْرَ» أسكن العين لتوالي الحركات. ومن قرأ: «تِسْعَةُ وَعَشْرَ» جاء به على الأصل قبل التركيب، وعطف عشرأ على تسعة، وحذف التنوين لكثرة الاستعمال، وأسكن الراء من عشر على نيّة السكوت عليها.

ومن قرأ: «تِسْعَةَ عَشْرَ» فكأنه من التداخل؛ كأنه أراد العطف، وترك التركيب، فرفع هاء التانيث، ثم راجع البناء وأسكن.

وأما «تِسْعَةَ أَعَشْرَ»: فغير معروف، وقد أنكرها أبو حاتم. وكذلك «تِسْعَةُ وَعَشْرَ»

(١) الوسيط للواحي ٤/ ٣٨٤، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٤٣٦ عن ابن عباس، وفيه: أفيجز كل عشرة.

(٢) الكشف للزمخشري ٤/ ١٨٤.

(٣) المحتسب ٢/ ٣٣٩، وقراءة أبي جعفر - وهي من العشرة - في النشر ٢/ ٢٧٩.

(٤) ذكرها السمين في الدر المصون ١٠/ ٥٤٨ نقلاً عن المهدوي دون نسبة، وذكر ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٣٩ عن أنس أنه روي عنه: «تِسْعَةُ وَعَشْرَ»، برفع الهاء، وبعدها واو مفتوحة، وعين مجزومة.

(٥) المحتسب ٢/ ٣٣٨-٣٣٩.

لأنها محمولة على «تِسْعَةُ أَعْشُرَ»، والواو بدلٌ من الهمزة، وليس لذلك وجه عند النحويين^(١).

الزمخشري: وقري: «تِسْعَةُ أَعْشُرَ» جمع عَشِيرٍ، مثل يَمِينٍ وَأَيْمُنٍ^(٢).

قوله تعالى: ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: ليوثق الذين أعطوا التوراة والإنجيل أنَّ عِدَّةَ^(٣) خَزَنَةِ جَهَنَّمَ موافقة لما عندهم؛ قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم^(٤).

ثم يَحْتَمَلُ أَنَّهُ يريدُ الذين آمنوا منهم، كعبدالله بن سلام. وَيَحْتَمَلُ أَنَّهُ يريدُ الكلَّ. ﴿وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ بذلك؛ لأنَّهم كلَّمَا صدَّقوا بما في كتاب الله آمنوا، ثم ازدادوا إيماناً لتصديقهم بعدد خَزَنَةِ جَهَنَّمَ.

﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ أي: ولا يشكُّ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: أعطوا الكتاب ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: المصدِّقون من أصحاب محمد ﷺ في أنَّ عدد^(٥) خزانة جهنم تسعة عشر. ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: في صدورهم شكٌّ ونفاق من منافقي أهل المدينة، الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة، ولم يكن بمكَّة نفاقٌ، وإنما نجُم بالمدينة.

وقيل: المعنى، أي: وليقول المنافقون الذين يَنْجُمُونَ في مستقبل الزمان بعد الهجرة^(٦). ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ أي: اليهود والنصارى^(٧).

﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ يعني بعدد خزانة جهنم.

(١) الكلام بنحوه في المحتسب ٣٣٩/٢.

(٢) الكشاف للزمخشري ١٨٤/٤، وينظر الدر المصون ٥٤٨/١٠.

(٣) في النسخ الخطية: عدد.

(٤) أخرج قولهم الطبري ٤٣٨/٢٣-٤٣٩.

(٥) في (م): عدة.

(٦) الكشاف للزمخشري ١٨٥/٤.

(٧) زاد المسير ٤٠٩/٨.

وقال الحسين بن الفضل: السورة مكيّة، ولم يكن بمكة نفاق؛ فالمرض في هذه الآية الخلاف، و«الكافرون» أي: مشركو العرب. وعلى القول الأوّل أكثر المفسرين. ويجوز أن يُراد بالمرض: الشكُّ والارتياب؛ لأنّ أهل مكة كان أكثرهم شاكّين، وبعضهم قاطعين بالكذب^(١).

وقوله تعالى إخباراً عنهم: «مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ» أي: ما أراد «بِهَذَا» العدد الذي ذكره حديثاً، أي ما هذا من الحديث^(٢). قال الليث: المثل الحديث؛ ومنه: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥] أي: حديثها والخبر عنها.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كإضلال الله أبا جهل وأصحابه المنكرين لحرّنة جهنم؛ ﴿يُضِلُّ اللَّهُ﴾ أي: يخزي ويعمي من يشاء ﴿وَيَهْدِي﴾ أي: ويرشد ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ كإرشاد أصحاب محمد ﷺ.

وقيل: كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ عَنِ الْجَنَّةِ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي إِلَيْهَا مَنْ يَشَاءُ.

﴿وَمَا يَمَلُّ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: وما يدري عدد ملائكة ربك الذين خلقهم لتعذيب أهل النار «إِلَّا هُوَ»، أي: إِلَّا اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ. وهذا جوابٌ لأبي جهل حين قال: أمّا لمحمدٍ من الجنودِ إِلَّا تسعةَ عشر^(٣)!

وعن ابن عباس: أنّ النبي ﷺ كان يقيس غنائم حنين، فأتاه جبريلُ فجلس عنده، فأتى ملكٌ فقال: إنّ ربك يأمرك بكذا وكذا، فخشي النبي ﷺ أن يكون شيطاناً، فقال: «يا جبريل أتعرفه؟» فقال: هو ملك، وما كلُّ ملائكة ربك أعرف^(٤).

وقال الأوزاعي: قال موسى: يا رب! من في السماء؟ قال: ملائكتي. قال: كم

(١) الكشاف ٤/ ١٨٥.

(٢) زاد المسير ٨/ ٤٠٩.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤١٧. ونسبه لمقاتل.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٣٣٥). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٨٩: وفيه حسين بن الحسن الأشقر، وهو منكر الحديث، ورمي بالكذب، ووثقه ابن حبان. اهـ. وقال ابن عدي في الكامل ٢/ ٧٧٢: وهذا حديث منكر بهذا الإسناد، وما أعلم رواه غير حسين الأشقر، عن حسين أبو محذورة الوراق. والبلاء عندي من الحسين الأشقر؛ لأن أبا محذورة لا بأس به.

عدَّتْهم يا رب؟ قال: اثنا^(١) عشر سَبْطًا. قال: كم عِدَّةُ كُلِّ سَبْطٍ؟ قال: عدد التراب^(٢). ذكرهما الثعلبي.

وفي الترمذي عن النبي ﷺ: «أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَبْطَأَ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعِ إِلَّا وَمَلَكَ وَاضِعُ جِبْهَتِهِ لِلَّهِ سَاجِدًا»^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ﴾ يعني الدلائل والحجج والقرآن. وقيل: «وَمَا هِيَ» أي: وما هذه النار التي هي سقر «إِلَّا ذِكْرٌ» أي: عِظَةٌ «لِلْبَشْرِ» أي: للخلق^(٤).

وقيل: نارُ الدنيا تذكرةٌ لنار الآخرة. قاله الزجاج^(٥).

وقيل: أي: ما هذه العِدَّةُ «إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ»، أي: ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله تعالى، وأنه لا يحتاج إلى أعوان وأنصار؛ فالكناية على هذا في قوله تعالى: «وَمَا هِيَ» ترجع إلى الجنود؛ لأنه أقربُ مذكور.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ ۝٣٣ وَأَيُّلَ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٤ وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ ۝٣٥ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ۝٣٦ نَذِيرًا لِلْبَشْرِ ۝٣٧ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٨ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٩ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝٤٠ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ ۝٤١ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝٤٢ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۝٤٣ قَالُوا لَوْ نَكُنَّ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٤ وَلَوْ نَكُنَّ نَفْلِمُ الْيَسِينِ ۝٤٥ وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَاطِبِينَ ۝٤٦ وَكُنَّا نَكُذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ ۝٤٧ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ۝٤٨ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ۝٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ﴾ قال الفراء: «كَلَّا» صلةٌ للقسم، التقدير: إي والقمر.

(١) في (خ) و(د) و(م): اثني.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣٢٥)، وذكره الألوسي في روح المعاني ١٢٨/٢٩، واللفظ فيهما: «يا رب: من معك في السماء». قال الألوسي: وفي صحة هذا نظر، وإن صح فصله من المتشابه.

(٣) أخرجه أحمد (٢١٥١٦)، وسلف بتامه ٤٢٨/٥-٤٢٩.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير أبي الليث ٤٢٣/٣.

(٥) في معاني القرآن ٢٤٨/٥.

وقيل: المعنى حقاً والقمر فلا يوقف على هذين التقديرين على «كلاً»، وأجاز الطبري الوقف عليها، وجعلها رداً للذين زعموا أنهم يقاومون خزنة جهنم، أي: ليس الأمر كما يقول من زعم أنه يقاوم خزنة النار. ثم أقسم على ذلك جلّ وعزّ بالقمر وبما بعده، فقال: ﴿وَأَيُّ لَيْلٍ إِذَا أَذْبَرَ﴾ أي: ولى^(١)، وكذلك «دَبَّرَ».

وقرأ نافع وحمزة وحفص: «إِذَا أَذْبَرَ»، الباقون: «إِذَا» بألف، و«دَبَّرَ» بغير ألف^(٢)، وهما لغتان بمعنى؛ يقال: دَبَّرَ وأدبر، وكذلك قَبِلَ الليل وأقبل. وقد قالوا: أمس الدابر والمدبر؛ قال صخر بن عمرو بن الشريد السلمي: وَلَقَدْ قَتَلْتُكُمْ^(٣) ثَنَاءً وَمَوْحِداً وَتَرَكْتُ مُرَّةً مِثْلَ أَمْسِ الدَّابِرِ وَيُرْوَى: المدبر^(٤). وهذا قول الفراء والأخفش^(٥).

وقال بعض أهل اللغة: دَبَّرَ الليل: إذا مضى، وأدبر: أخذ في الإدبار.

وقال مجاهد: سألت ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَيْلٍ إِذَا دَبَّرَ﴾ فسكت حتى إذا دَبَّرَ قال: يا مجاهد، هذا حين دبر الليل^(٦).

وقرأ محمد بن السميع: «وَاللَّيْلِ إِذَا أَذْبَرَ» بألفين، وكذلك في مصحف عبد الله وأبيّ بألفين^(٧).

وقال قطرب: من قرأ: «دَبَّرَ»، فيعني: أقبل، من قول العرب: دَبَّرَ فلانٌ: إذا جاء

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٣/٤٤١-٤٤٢، وينظر ما سلف حول الوقوف على كلا عند تفسير قوله تعالى ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ...﴾ [مریم: ١٣/٥٠٨].

(٢) السبعة ص ٦٥٩، والتيسير ص ٢١٦.

(٣) في (ظ) و(م): قتلناكم، وفي (ز) قبلتكم، والمثبت من (خ) و(د) و(ي). وهو الموافق للمصادر.

(٤) الصحاح (دبر)، والبيت في أدب الكاتب ص ٥٦٧ بلفظ الدابر، وفي الأغاني ٥/١٠٠، وخزانة الأدب ٤٤٨/٥ بلفظ: المدبر.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/٢٠٤، ومعاني القرآن للأخفش ٢/٧١٩.

(٦) تفسير أبي الليث ٣/٤٢٣. وينظر المحرر الوجيز ٥/٣٩٧.

(٧) قراءة ابن مسعود وأبي في المحرر الوجيز ٥/٣٩٧، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/٢٠٤.

من خلفي. قال أبو عمرو: وهي لغة قريش^(١).

وقال ابن عباس في رواية عنه: الصواب: «أذَبَر»، وإنما يَذَبُرُ ظهر البعير^(٢). واختار أبو عبيد: «إِذَا ذَبَرَ^(٣)»، قال: لأنها أكثر موافقة للحروف التي تليه؛ ألا تراه يقول: ﴿وَالصَّبْحَ إِذَا أَتَفَرَ﴾، فكيف يكون أحدهما: «إِذ»، والآخر: «إِذَا»، وليس في القرآن قَسَمٌ تَعَقِبُهُ «إِذ»، وإنما يتعقبه «إِذَا»^(٤).

ومعنى «أَسْفَرَ»: ضاء. وقراءة العامة: «أَسْفَرَ» بالالف. وقرأ ابن السَّمِيفَع: «سَفَرَ»^(٥). وهما لغتان. يقال: سَفَرَ وجهُ فلان وأسفر: إذا أضاء. وفي الحديث: «أَسْفِرُوا بالفجر، فإنه أعظم لأجر»^(٦) أي: صَلُّوا صلاة الصبح مُسْفِرِينَ، ويقال: طَوَّلُوها إلى الإسفار، والإسفار: الإنارة، وأسفر وجهه حسناً، أي: أشرق، وَسَفَرَتِ المرأةُ: كشفت عن وجهها، فهي سافر. ويجوز أن يكون: سَفَرَ الظلام، أي: كَنَسَهُ، كما يُسْفَرُ البيت؛ أي: يُكَنَسُ، ومنه السَّفِير: لِمَا سَقَطَ من ورق الشجر وتَحَاتَّ؛ يقال: إِنَّمَا سُمِّيَ سفيراً؛ لأنَّ الرِّيحَ تَسْفِرُهُ، أي: تَكْنِسُهُ. والمِسْفَرَةُ: المِكْنَسَةُ^(٧).

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا لِاحِدَى الْكُبَيْرِ﴾ جوابُ القسم، أي: إِنَّ هَذِهِ النَّارَ لِاحِدَى الْكُبَيْرِ، أي: لإحدى الدواهي.

وفي تفسير مقاتل: «الْكُبَيْر»: اسمٌ من أسماء النار.

(١) تفسير البغوي ٤/٤١٨. وينظر تفسير الطبري ٢٣/٤٤٢.

(٢) ذكرها الرازي في تفسيره ٣٠/٢٠٨. وذبُرَ البعيرُ يَذَبُرُ (كفروح): جُرِحَ وتقرَّحَ ظهره. معجم متن اللغة (دبر).

(٣) في (ظ) و(م): أدبر. وهو خطأ.

(٤) ذكر نحو قول أبي عبيد النحاس في إعراب القرآن ٥/٧١.

(٥) المحرر الوجيز ٥/٣٩٧، والبحر المحيط ٨/٣٧٧.

(٦) أخرجه الترمذي (١٥٤)، والنسائي في المجتبى ١/٣٧٢ عن رافع بن خديج، وهو بنحوه عند أحمد برقم (١٥٨١٩).

(٧) الصحاح (سفر).

وروي عن ابن عباس: «إنها» أي: إن تكذيبهم بمحمد ﷺ «لإحدى الكُبر»، أي: لكبيرة من الكبائر.

وقيل: أي: إن قيام الساعة لإحدى الكُبر. والكُبر: هي العظام من العقوبات؛ قال الراجز:

يا ابنِ المُعلَى نزلت إحدى الكُبرِ داهية الدهر وصمَاء العَبَر^(١)

وواحدة «الكُبر»: كُبرى، مثل: الصُغرى والصُغَر، والعُظمى والعُظْم^(٢).

وقرأ العامة «لإحدى»، وهو اسم بني ابتداء للتأنيث، وليس مبنياً على المذكر؛ نحو: عُقبى وأخرى، وألفه ألف قطع، لا تذهب في الوصل.

وروى جرير بن حازم عن ابن كثير: «إنها لأحدى الكُبر» بحذف الهمزة^(٣).

﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ يريد النَّار، أي: إن هذه النار الموصوفة «نَذِيرًا لِلْبَشَرِ»، فهو نصبٌ على الحال من المضمَر في «إنها» قاله الرَّجَّاج^(٤). ودُكِّر؛ لأنَّ معناه معنى العذاب، أو أراد: ذات إنذار؛ على معنى النَّسب؛ كقولهم: امرأة طالق وطاهر.

وقال الخليل: النذير: مصدرٌ كالنكير، ولذلك يُوصف به المؤنث^(٥).

وقال الحسن: والله ما أنذر الخلائق بشيءٍ أدهى منها. وقيل: المرادُ بالنذير

(١) النكت والعيون ٦/١٤٥-١٤٦، ووقع في (خ) و(د) و(ز) و(ي): العبر، وفي (ظ): العرب، وفي (م) والنكت والعيون: الغير. والمثبت من المصادر الآتية. والرجز لعبد الله بن الأعرور الكذاب الحرمازي كما في كتاب الحيوان للجاحظ ٤/١٤٦، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٢/٦٧١، والمستقصى للزمخشري ١/٤٢١. وداهية الدهر: الحية لأنها ربما سكنت بقرب ماء، فتحمي ذلك الموضع، وربما غبر [أي: بقي] ذلك الماء في المنقع حيناً وقد حمته، وفي القاموس (غبر): داهية العَبَر: داهية لا يُهتدى لمثلها.

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩٧.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٦٥.

(٤) في معاني القرآن له ٥/٢٤٩، وما بعده منه.

(٥) تفسير البغوي ٤/٤١٨.

محمد ﷺ^(١)، أي: قم نذيراً للبشر، أي: مُخَوِّفًا لَهُمْ، فـ «نَذِيرًا» حَالٌ مِنْ «قُمْ» فِي أَوَّلِ السُّورَةِ حِينَ قَالَ: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ قَالَهُ^(٢) أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ وَابْنُ زَيْدٍ^(٣)، وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٤) وَأَنْكَرَهُ الْفَرَّاءُ^(٥).

ابن الأثباري: وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسُرِينَ: مَعْنَاهُ: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ. وَهَذَا قَبِيحٌ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ قَدْ طَالَ فِيمَا بَيْنَهُمَا^(٦).

وقيل: هُوَ مِنْ صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى. رَوَى أَبُو مَعَاوِيَةَ الضَّرِيرُ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ سَمِيعٍ، عَنْ أَبِي زَيْنٍ: «نَذِيرًا لِلْبَشَرِ» قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا لَكُمْ مِنْهَا نَذِيرٌ فَاتَّقَوْهَا^(٧). وَ«نَذِيرًا» عَلَى هَذَا نَصَبَ عَلَى الْحَالِ، أَي: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً مُنْذِرًا بِذَلِكَ الْبَشَرَ»^(٨).

وقيل: هُوَ حَالٌ مِنْ «هُوَ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَمَلِكُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾. وَقِيلَ: هُوَ فِي مَوْضِعِ الْمَصْدَرِ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنْذَارًا لِلْبَشَرِ^(٩). قَالَ الْفَرَّاءُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النَّذِيرُ بِمَعْنَى الْإِنْذَارِ، أَي: أَنْذَرَ إِنْذَارًا، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ [تبارك: ١٧] أَي: إِنْذَارِي^(١٠). فَعَلَى هَذَا يَكُونُ رَاجِعًا إِلَى أَوَّلِ السُّورَةِ، أَي: «قُمْ فَأَنْذِرْ»، أَي: إِنْذَارًا.

وقيل: هُوَ مَنْصُوبٌ بِإِضْمَارِ فِعْلٍ^(١١). وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عُبَيْلَةَ: «نَذِيرٌ» بِالرَّفْعِ، عَلَى

(١) النكت والعيون ١٤٧/٦ .

(٢) فِي (م): قَالَ.

(٣) النكت والعيون ١٤٧/٦ ، وتفسير البغوي ٤١٨/٤ .

(٤) ذكرو الواحد في الوسيط ٣٨٦/٤ .

(٥) فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لَهُ ٢٠٥/٣ .

(٦) إِضْحَاحُ الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ ٩٥٥/٢ .

(٧) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٤٤٦/٢٣ .

(٨) الْكَلَامُ بِنَحْوِهِ فِي تَفْسِيرِ الْبَغْوِيِّ ٤١٨/٤ .

(٩) يَنْظُرُ مَشْكَلَ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ٧٧٤/٢ .

(١٠) مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ ٢٠٥/٣ .

(١١) يَنْظُرُ إِعْرَابَ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ ٧٢/٥ ، وَمَشْكَلَ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ٧٧٥/٢ .

إضمار هو^(١) وقيل: أي: إنَّ القرآنَ نذيرٌ للبشر، لِمَا تَضَمَّنَهُ من الوعد والوعيد^(٢).

قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ، أَوْ يَتَأَخَّرَ إِلَى الشَّرِّ وَالْمَعْصِيَةِ؛ نَظِيرُهُ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِلِينَ مِنْكُمْ﴾، أي: في الخير ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَعْرِضِينَ﴾ عنه.

قال الحسن: هذا وعيدٌ وتهديدٌ وإنَّ خرج مخرج الخبر؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٣) [الكهف: ٢٩].

وقال بعضُ أهل التَّأْوِيل: معناه لمن شاء اللهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ؛ فَالْمَشِيئَةُ مُتَّصِلَةٌ بِاللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَالتَّقْدِيمُ الْإِيمَانُ، وَالتَّأخِيرُ الْكُفْرُ.

وكان ابنُ عباسٍ يقول: هذا تهديدٌ وإعلامٌ أَنَّ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ؛ جُوزِيَ بِثَوَابٍ لَا يَنْقُطِعُ، وَمَنْ تَأَخَّرَ عَنِ الطَّاعَةِ وَكَذَّبَ مُحَمَّدًا ﷺ؛ عُوقِبَ عِقَابًا لَا يَنْقُطِعُ.

وقال السُّدِّيُّ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ﴾ إِلَى النَّارِ الْمُتَقَدِّمَ ذَكَرَهَا، «أَوْ يَتَأَخَّرَ» عَنْهَا إِلَى الْجَنَّةِ^(٤).

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ أي: مرتهنةٌ بكسبها، مأخوذةٌ بعملها، إمَّا خَلَصَهَا، وَإِمَّا أَوْبَقَهَا. وَلَيْسَتْ «رَهِينَةٌ» تَأْنِيثٌ رَهِينٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١] لِتَأْنِيثِ النَّفْسِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قُصِدَتِ الصَّفَةُ لَقِيلَ: رَهِينٌ؛ لِأَنَّ فِعْلًا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ يَسْتَوِي فِيهِ الْمَذْكَرُ وَالْمَوْثِقُ. وَإِنَّمَا هُوَ اسْمٌ بِمَعْنَى الرَّهْنِ، كَالشَّتِيمَةِ بِمَعْنَى الشَّتْمِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهْنٌ^(٥)؛ وَمِنْهُ بَيْتُ الْحَمَاسَةِ:

(١) المحرر الوجيز ٣٩٨/٥، ونسبها الفراء في معاني القرآن ٣/٢٥٥، والزمخشري في الكشاف ٤/١٨٦ لأبي.

(٢) النكت والعيون ٦/١٤٧.

(٣) ذكره بنحوه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٣٩٨.

(٤) النكت والعيون ٦/١٤٧، وزاد المسير ٨/٤١٠.

(٥) في (ز) و(ظ) و(ي): رهين، وسقطت العبارة من (د)، والمثبت من (خ) والكشاف ٤/١٨٦ والكلام منه.

أَبْعَدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ نَعْفِ كُؤَيْكِبٍ رَهِيْنَةً رَمْسٍ ذِي تُرَابٍ وَجَنْدَلٍ^(١)
 كَأَنَّهُ قَالَ: رَهْنُ رَمْسٍ. والمعنى: كلُّ نفسٍ رهنٌ بكسبها عند الله غير مفكوك^(٢)
 ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يُرْتَهَنُونَ بِذُنُوبِهِمْ. واخْتَلَفَ فِي تَعْيِينِهِمْ؛ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:
 الْمَلَائِكَةُ^(٣).

علي بن أبي طالب: أولادُ المسلمين لم يكتسبوا فُيرْتَهَنُوا بكسبهم^(٤).

الضَّحَّاكُ: الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحَسَنَى^(٥)، وَنَحْوَهُ عَنِ ابْنِ جَرِيْجٍ؛ قَالَ:
 كُلُّ نَفْسٍ بِعَمَلِهَا مُحَاسَبَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ؛ وَهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَا يُحَاسِبُونَ^(٦).
 وَكَذَا قَالَ مَقَاتِلٌ أَيْضًا: هُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ الَّذِينَ كَانُوا عَنِ يَمِينِ آدَمَ يَوْمَ الْمِيثَاقِ،
 حِينَ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي^(٧).

وقال الحسن وابنُ كَيْسَانَ: هُمُ الْمُسْلِمُونَ الْمَخْلُصُونَ لِسِوَا بَمِرْتَهْنِينَ^(٨)؛ لِأَنَّهُمْ
 أَدَّوْا مَا كَانَ عَلَيْهِمْ.

وعن أبي ظَبْيَانَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: هُمُ الْمُسْلِمُونَ^(٩).

وقيل: إِلَّا أَصْحَابَ الْحَقِّ وَأَهْلَ الْإِيمَانِ. وقيل: هُمُ الَّذِينَ يُعْطَوْنَ كِتَابَهُمْ
 بِأَيْمَانِهِمْ.

(١) البيت لعبد الرحمن بن زيد العدوي، وهو في الحماسة البصرية ٢١٧/١، والبيان والتبيين ٢٥٨/٣،
 والأغاني ١٠٤/٥ والتعقُّف: ما انحدر من حزونة الجبل، وارتفع من منحدر الوادي. القاموس (نعف).
 والرَّمْسُ: القبر، والجندل: الحجارة.

(٢) الكشاف ١٨٦/٤.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/٢٥٠.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/٤٤٩-٤٥٠، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/٢٠٥.

(٥) المحرر الوجيز ٥/٣٩٨.

(٦) النكت والعيون ٦/١٤٨.

(٧) تفسير البغوي ٤/٤١٨.

(٨) المحرر الوجيز ٥/٣٩٨.

(٩) ذكره عن ابن عباس السيوطي في الدر المنثور ٦/٢٨٥ وعزاه لابن المنذر.

وقال أبو جعفر الباقر: نحن وشيعتنا أصحاب اليمين، وكلُّ من أبغضنا أهل البيت، فهم المرتهنون^(١).

وقال الحكم: هم الذين اختارهم الله لخدمته، فلم يدخلوا في الرهن، لأنهم خدام الله وصفوته، وكسبهم لم يضرهم.

وقال القاسم: كلُّ نفسٍ مأخوذةٌ بكسبها من خيرٍ أو شرٍ، إلا من اعتمد على الفضل والرحمة، دون الكسب والخدمة، فكلُّ من اعتمد على الكسب؛ فهو مرهونٌ، وكلُّ من اعتمد على الفضل، فهو غيرُ مأخوذٍ به^(٢).

﴿فِي جَنَّتِ﴾ أي: في بساتين ﴿يَسْأَلُونَ﴾ أي: يسألون ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المشركين ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ أي: أدخلكم ﴿فِي سَقَرٍ﴾ كما تقول: سلكتُ الخيط في كذا، أي: أدخلته فيه.

قال الكلبي: فيسأل الرجل من أهل الجنة الرجل من أهل النار باسمه، فيقول له: يا فلان.

وفي قراءة عبد الله بن الزبير: «يا فلان ما سلكك في سقر؟» وعنه قال: قرأ عمرُ ابن الخطاب: «يا فلان ما سلككم في سقر»^(٣)، وهي قراءة على التفسير، لا أنها قرآنٌ كما زعم من طعن في القرآن؛ قاله أبو بكر بن الأنباري.

وقيل: إن المؤمنين يسألون الملائكة عن أقربائهم، فتسأل الملائكة المشركين فيقولون لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾. قال الفراء: في هذا ما يقوي أن أصحاب اليمين

(١) ذكره مختصراً الطبرسي في مجمع البيان ١١٨/٢٩.

(٢) تفسير البغوي ٤١٨/٤.

(٣) أخرجه عبد الرزاق ٣٣١/٢، وفيه أن قراءة ابن الزبير: «يا فلان ما سلككم في سقر»، بالجمع كقراءة عمر، وكذا في الدر المنثور ٢٨٥/٦، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٦٥ بالإفراد عن الصحابييين رضي الله عنهما. وذكرها النحاس في إعراب القرآن ٧٣/٥ عن الزبير فقط بالإفراد.

الولدان؛ لأنهم لا يعرفون الذنوب^(١).

﴿قَالُوا﴾ يعني أهل النار: ﴿لَوْ نَكَّ مِنْ الْمُصَلِّينَ﴾ أي: المؤمنين الذين يُصَلُّون.
﴿وَلَوْ نَكَّ نَطَعُمُ الْمِسْكِينَ﴾ أي: لم نك نتصدق.

﴿وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ أي: كنا نخالط أهل الباطل في باطلهم. وقال ابن زيد: نخوض مع الخائضين في أمر محمد ﷺ، وهو قولهم - لعنهم الله - كاهن، مجنون، شاعر، ساحر.

وقال السدي: أي: وكنا نكذب مع المكذبين. وقال قتادة: كلما غوى غاوي غوينا معه. وقيل معناه: وكنا أتباعاً ولم نكن متبوعين^(٢).

﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ أي: لم نك نصدق بيوم القيامة، يوم الجزاء والحكم.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ آتَنَّا الْيَقِينَ﴾ أي: جاءنا ونزل بنا الموت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

قوله تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾ هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين؛ وذلك أن قوماً من أهل التوحيد عذبوا بذنوبهم، ثم شُفِعَ فيهم، فرحمهم الله بتوحيدهم والشفاعة، فأخرجوا من النار^(٣)، وليس للكفار شفيع يشفع فيهم.

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: يشفع نبيكم ﷺ رابع أربعة: جبريل، ثم إبراهيم، ثم موسى أو عيسى، ثم نبيكم ﷺ، ثم الملائكة، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ويبقى قوم في جهنم، فيقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَوْ نَكَّ مِنْ الْمُصَلِّينَ وَلَوْ نَكَّ نَطَعُمُ الْمِسْكِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾ قال عبد الله بن مسعود: فهؤلاء هم الذين يبقون في جهنم. وقد ذكرنا إسناده في كتاب «التذكرة»^(٤).

(١) معاني القرآن للفراء ٢٠٥/٣ بنحوه.

(٢) النكت والعيون ١٤٨/٦.

(٣) ينظر حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٤) ص ٣٤٣، والحديث أخرجه مطولاً الطبراني في المعجم الكبير (٩٧٦١)، والحاكم في المستدرک =

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَمْ عَنِ التَّذِكْرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَزَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَّةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَمْ عَنِ التَّذِكْرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ أي: فما لأهل مكة قد أعرضوا، وولوا عما جئتهم به^(١). وفي تفسير مقاتل: الإعراضُ عن القرآن من وجهين: أحدهما: الجحودُ والإنكار، والوجه الآخر: ترك العمل بما فيه.

و«مُعْرِضِينَ» نصب على الحال من الهاء والميم في «لَهُمْ»، وفي اللام معنى الفعل؛ فانصَابَ الحال على معنى الفعل^(٢).

﴿كَانَتْهُمْ﴾ أي: كأن هؤلاء الكفار في فرارهم من محمد ﷺ ﴿حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ قال ابن عباس: أراد الحمر الوحشية^(٣).

وقرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء^(٤)، أي: مُنْفَرَةٌ مذعورة، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم. الباقر بالكسر، أي: نافرة. يقال: نَفَرَتْ واستنفرت بمعنى؛ مثل عَجِبْتَ واستعجبت، وَسَخَرْتَ واستسخرت^(٥)، وأنشد الفراء:

أَمْسِكْ حِمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَنْفِرٌ فِي إِفْرِ أَحْمِرَةَ عَمَدَانَ لِيُغْرِبَ^(٦)

= ٤٩٨/٤ ، ٦٠٠ . وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وتعبه الذهبي فقال: ما احتجا بأبي الزعراء . اهـ . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٣٠ : وهو موقوف مخالف للحديث الصحيح، وقول النبي ﷺ: أنا أول شافع.

(١) في (د) و(م) : جئتم به.

(٢) قال الطبرسي في مجمع البيان ٢٩/١٦٦ : والتقدير: أي شيء ثبت لهم معرضين عن التذكرة.

(٣) ذكره بنحوه الواحدي في الوسيط ٤/٣٨٨ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/٤١٧ .

(٤) السبعة ص ٦٦١ ، والتيسير ص ٢١٦ .

(٥) الكشف عن وجوه القراءات ٢/٣٤٨ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٣/٢٠٦ ، وهو أيضاً في كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة ٢/٧٩٣ ونسبه لنافع بن لقيط الفقعسي . وفيه: اربط بدل: أمسك قال ابن قتيبة: يروى: أزجر حمارك . اهـ . وغرَّب: اسم جبل دون الشام في ديار بين كلب . معجم البلدان ٤/١٩٢ .

قوله تعالى: ﴿فَرَّتْ﴾ أي: نفرت وهربت ﴿مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ أي: من رُماة يرمونها.
وقال بعض أهل اللغة: إِنَّ الْقَسْوَرَ الرامي، وجمعه الْقَسْوَرَةُ^(١). وكذا قال سعيد بن
جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك وابن كيسان: الْقَسْوَرَةُ: هم الرُماة
والصيَّادون^(٢)، ورواه عطاء عن ابن عباس وأبو ظبيان^(٣) عن أبي موسى الأشعري.
وقيل: إِنَّهُ الْأَسَدُ؛ قاله أبو هريرة وابن عباس أيضاً^(٤).

ابن عرفة: من الْقَسْرِ^(٥)؛ بمعنى: الْقَهْرِ، أي: إنه يَقَهِّرُ السَّبَاعَ، وَالْحُمْرُ الْوَحْشِيَّةُ
تهربُ من السباع.

وروى أبو حمزة^(٦) عن ابن عباس قال: ما أعلم القسورة الأسد في لغة أحد من
العرب، ولكنها عُصَبُ الرِّجَالِ: قال: فالقسورة جمعُ الرِّجَالِ، وأنشد:
يا بنتُ كُوزِي خَيْرَةٌ لِخَيْرَةٍ أَخْوَالُهَا الْجِنُّ وَأَهْلُ الْقَسْوَرَةِ
وعنه: رِكْزُ النَّاسِ، أي: جِسْمُهُمْ وَأَصْوَاتُهُمْ^(٧).

وعنه أيضاً: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ أي: من جبال الصيادين^(٨).

وعنه أيضاً: الْقَسْوَرَةُ بِلْسَانِ الْعَرَبِ: الْأَسَدُ، وِبِلْسَانِ الْحَبَشَةِ: الرِّمَاءُ^(٩)، وِبِلْسَانِ

(١) في النسخ: القسورة الرامي، وجمعه: قسورة. وفي اللباب لابن عادل ٥٣٧/٩: القسورة الرامي، وجمعه قساوره. والمثبت من فتح القدير ٣٣٣/٥، وهو قول الليث كما ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة ٣٩٨/٨ وخطأه، وينظر تاج العروس (قسر).

(٢) تفسير الطبري ٤٥٧/٢٣-٤٥٨، وتفسير البغوي ٤١٩/٤، وزاد المسير ٤١٣/٨.

(٣) في (د) و(ظ): حبان، وفي (خ) و(ز) و(ي): هبان. والمثبت من تفسير الطبري ٤٥٥/٢٣. وقولهما مخرج فيه.

(٤) أخرجه عنهما الطبري ٤٥٩/٢٣-٤٦٠.

(٥) تاج العروس (قسر).

(٦) في (م) و(ي): جمرة، والمثبت من (خ) و(د) و(ز) و(ظ)، وهو الموافق لتفسير الطبري ٤٥٨/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري ٤٥٨/٢٣-٤٥٩.

(٨) تفسير البغوي ٤١٩/٤.

(٩) في تفسير الطبري ٤٦٠/٢٣: بلسان الحبشة: القسورة. وكذا ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٨٦/٦ مختصراً وعزاه لابن أبي حاتم.

فارس: شير، وبلسان التَّبَط: أريا.

وقال ابن الأعرابي: الْقَسْوَرَةُ: أوَّلُ الليل، أي: فَرَّتْ من ظُلْمَةِ الليل^(١). وقاله

عكرمة أيضاً. وقيل: هو أوَّلُ سواد الليل، ولا يُقال لآخر سواد الليل: قَسْوَرَةٌ.

وقال زيد بن أسلم: مِنْ رجالٍ أقوياء، وكلُّ شديدٍ عند العرب فهو قَسْوَرَةٌ

وَقَسْوَرٌ^(٢). وقال لبيد بن ربيعة^(٣):

إذا ما هَتَفْنَا هَتَفَةً فِي نَدِينَا أتاَنَا الرِّجَالُ العَابِدُونَ^(٤) الْقَسَاوِرُ

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً﴾ أي: يُعْطَى كُتُبًا

مفتوحة؛ وذلك أن أبا جهل وجماعةً من قريش قالوا: يا محمد! ايتنا بكتبٍ من ربِّ

العالمين مكتوبٍ فيها: إنِّي قد أرسلتُ إليكم محمداً، ﷺ. نظيره: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكِ

حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُكُمْ﴾ [الإسراء: ٩٣].

وقال ابن عباس: كانوا يقولون: إن كان محمدٌ صادقاً فليصبح عند كلِّ رجلٍ منَّا

صحيفةً فيها براءته وأمنه من النار^(٥).

قال مطر الورَّاق: أرادوا أن يُعْطُوا بغير عمل.

وقال الكلبي: قال المشركون: بلغنا أن الرجلَ من بني إسرائيل كان يُصبح عند

رأسه مكتوباً ذنبه وكفارته، فأتينا بمثل ذلك^(٦).

(١) ذكره بنحوه الأزهري في تهذيب اللغة ٣٩٩/٨.

(٢) تفسير البغوي ٤١٩/٤.

(٣) ديوانه ص ٣٥١.

(٤) في (م): العائدون، وكذا في تفسير ابن عادل ٥٣٧/١٩، ووقع في الديوان بلفظ: الصائدون، وفي

المحرر الوجيز ٣٩٩/٥، والدر المصون ٥٥٨/١٠: العائدون، والمثبت من النسخ الخطية وفتح

القدر ٣٣٣/٥.

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف ١٨٨/٤ دون نسبة.

(٦) تفسير البغوي ٤٢٠/٤. وذكره الزمخشري في الكشاف ١٨٨/٤ دون نسبة، وقال: وهذا من الصحف

المنشأة بمعزل، إلا أن يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة.

وقال مجاهد: أرادوا أن ينزل على كل واحد منهم كتاب فيه: من الله عز وجل إلى فلان ابن فلان^(١).

وقيل: المعنى أن يُذكرَ بِذكرٍ جميل، فُجِعِلتِ الصحف موضع الذكر مجازاً. وقالوا: إذا كانت ذنوب الإنسان تكتب عليه، فما بالنا لا نرى ذلك؟

﴿كَلَّا﴾ أي: ليس يكون ذلك. وقيل: حقاً. والأول أجود؛ لأنه رد لقولهم.

﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: لا أعطيهم ما يتمنون؛ لأنهم لا يخافون الآخرة،

اغتراراً بالدنيا.

وقرأ سعيد بن جبير: «صُخْفًا مُنْشَرَةً» بسكون الحاء والنون^(٢)، فأما تسكين الحاء فتخفيف، وأما تسكين^(٣) النون فشاذ. إنما يُقال: نشرث الثوب وشبهه، ولا يقال أنشرت. ويجوز أن يكون شبه الصحيفة بالमित، كأنها ميتة بطيها، فإذا نُشِرت حَيَّت، فجاء على أنشر الله الميت؛ كما شبه إحياء الميت بنشر الثوب، فقيل فيه: نشر الله الميت. فهي لغة فيه^(٤).

قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿٥٦﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكُرْ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ

يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْغَفْرِ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾ أي: حقاً إن القرآن عظة. ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكُرْ﴾

أي: اتعظ به. ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ أي: وما يتعظون ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: ليس يقدر

على الاتعاض والتذكر إلا بمشيئة الله ذلك لهم.

وقراءة العامة: «يَذْكُرُونَ» بالياء، واختاره أبو عبيد؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا

(١) أخرجه الطبري ٢٣/٤٦١ مختصراً.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٦٥، والمحتسب ٢/٣٤٠.

(٣) لفظة: تسكين. ليست في (م)

(٤) الكلام بنحوه في المحتسب ٢/٣٤٠.

يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٤﴾. وقرأ نافع ويعقوب بالتاء^(١)، واختاره أبو حاتم لأنه أعمّ، واتَّفَقُوا على تخفيفها.

﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ في الترمذي وسنن ابن ماجه عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ قال: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أهلُّ أن أتقى، فمن اتقاني^(٢) فلم يجعل معي إليها؛ فأنا أهلُّ أن أغفر له». لفظ الترمذي، وقال فيه: حديثٌ حسنٌ غريب^(٣).

وفي بعض التفسير: هو أهلُّ المغفرة لمن تاب إليه من الذنوب الكبار، وأهلُّ المغفرة أيضاً للذنوب الصغار، باجتنابِ الذنوب الكبار. وقال محمد بن نصر: أنا أهلُّ أن يتَّقيني عبيدي، فإن لم يفعل، كنتُ أهلاً أن أغفر له وأرحمه، وأنا الغفور الرحيم^(٤).

ختمت السورة والحمد لله وحده

(١) قراءة نافع في السبعة ص ٦٦٠، والتيسير ص ٢١٦، وقراءة يعقوب في تفسير البغوي ٤/٤٢٠،

والمحرر الوجيز ٥/٤٠٠، والبحر المحيط ٨/٣٨١، وهي غير القراءة المشهورة عنه.

(٢) في النسخ الخطية: اتقى. والمثبت من (م) وسنن الترمذي.

(٣) سنن الترمذي (٣٣٢٨)، دون لفظة حسن، والعبارة في تحفة الأشراف ١/١٣٩ موافقةً لعبارة المصنف.

وتتمة كلام الترمذي: وسهيل ليس بالقوي في الحديث، وقد تفرد بهذا الحديث عن ثابت. اهـ. وأخرجه

ابن ماجه (٤٢٩٩)، وهو أيضاً عند أحمد (١٢٤٤٢)، والنسائي في الكبرى (١١٥٦٦).

(٤) قوله: وأرحمه، وأنا الغفور الرحيم، من (م).